الفرقان

العدد ١٢٨٧ - الاثنين ١٠ من جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ - ١/ ١٢ / ٢٠٢٥م

خطبة الجمعة
منبر الوعظ وأداة
التوجيه التربوي

هجرة العقول والكفاءات
رؤية إسلامية وحلول شرعية

وسائل فضّ المنازعات
في ضوء الهدي القرآني

العدد الجديد

مرح وتسلية

وغرس قيم إسلامية

@ajialna

للاشتراكات 96903524

دعوة للمشاركة الفعَّالة

رغبة في تطوير أداء مجلة

الفرقان

وخدمةً للإعلام الإسلامي الهادف، تدعو المجلة قراءها الأعزاء إلى مشاركتها في المساهمات الآتية:

- تقديم الاقتراحات والملاحظات.
- المقالات والأبحاث النافعة.

ويمكن التواصل مباشرة على:

هاتف: 97288994 (00965) (WhatsApp)

أو عبر إيميل المجلة: forqany@hotmail.com

الفرقان

مجلة أسبوعية شاملة - طرح إسلامي متميز

هدفنا... الحفاظ على الهوية الإسلامية والعقيدة الصحيحة

نشر كلمة التوحيد

@al_forqan

@al_forqan

97288994

www.al_forqan.net

forqany@hotmail.com

العدد ١٢٨٧ - الاثنين ١٠ من جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ - ١/ ١٢/ ٢٠٢٥م

Al-Forqan Magazine

في هذا العدد

هجرة العقول والكفاءات
رؤية إسلامية وحلول شرعية

خطبة الجمعة
منبر الوعظ وأداة التوجيه التربوي

وسائل فضّ المنازعات
في ضوء الهدي القرآني

شهادات منصفة للحضارة
الإسلامية

كتاب (فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة) 7

ثبات أهل الإيمان في الفِتن 19

الوسطية والاعتدال وأثرهما في بناء الأمة 30

أبرز المعوقات والتحديات لاسترداد الأوقاف المسلوبة 32

استقامة الأسرة طريق سعادتها 42

أوراق صحفية: رسالة إلى منكر الجميل..! 46

سعر النسخة في الكويت ٢٥٠ فلسا

الفرقان

مجلة إسلامية أسبوعية تصدر
عن جمعية إحياء التراث الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
طارق سامي العيسى

رئيس التحرير
سالم أحمد الناشي

تواصل معنا

ص.ب: 27271 الصفاة
الكويت الرمز البريدي: 13133
P.O.Box 5220 Safat,
Kuwait Postal Code No. 13053
: +965 25362733 - 25348664
الخط الساخن : +965 97288994
: +965 25362740
: forqany@hotmail.com
: www.al_forqan.net
: @al_forqan
: @al_forqan

الاشتراكات

للاشتراك داخل الكويت
تلفون : 98654239

نشكر دعمكم

حساب مجلة الفرقان
البنك الدولي
121010000387

طبعت في شركة لاكي للطباعة

السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٥٠ فلسا - قطر ٤ ريالات - سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - المغرب ٥ دراهم - الإمارات ٤ دراهم

الافتتاحية

الاعتدال سنة كونية وشرعية

يُعدّ الاعتدال خُلُقًا أصيلًا وسمةً بارزة في الكون والشرع؛ فقد أقام الله هذا الوجود على ميزان محكم، قال -تعالى-: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، وقال: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾؛ فالتوازن سنة كونية لا تقوم الحياة إلا بها، كما دلّ عليه تعاقب الليل والنهار ومصالح العباد فيهما، ومن رحمته -تعالى- أن جعل هذه الأمة أمة الوسط؛ وسطًا في عقيدتها وعبادتها وتصورها للحياة، قال -سبحانه-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، بل هو منهج قويم، يضبط علاقة العبد بربه وبنفسه وبمن حوله.

وقد تجسّد هذا المنهج في توجيه سلمان الفارسي لأبي الدرداء -رضي الله عنهما- حين قال: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»، فأقرّه النبي -ﷺ- قائلًا: «صَدَقَ سَلْمَانُ»، إنها قاعدة جامعة تقوم عليها حياة المسلم؛ توازنٌ بين حقوق الرب -جل وعلا-، وواجبات النفس، ومتطلبات الأهل.

إن التوازن في الحياة وصيانة الحقوق من أهم ما يعصم من الانحراف؛ فالمسلم يعبد الله دون غلوّ يرهقه، ولا تفريط يبعده، ويسير على صراط مستقيم لا يميل عنه، مسترشدًا بقوله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، وقد ركزت السنة النبوية على ترسيخ هذا المنهج، فكان النبي -ﷺ- أرحم الناس وأرفقهم، لا يختار إلا أيسر الأمرين ما لم يكن إثمًا، ويقول: «خير الأعمال أدومها وإن قل».

وإذا أدّى المسلم حق ربه، أعانه الله على أداء حقوق نفسه؛ فيوازن بين حاجاتها الروحية وتطلّباتها الجسدية، ويأخذ من الطيبات ما أباح الله له دون إسراف أو ترف، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، كما أن تحريم الطيبات بدعوى الزهد ليس من الهدي النبوي، بل إن الله أنكر على من يفعل ذلك قائلاً: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾.

وللنبي -ﷺ- في هذا الباب القدوة الأكمل؛ إذ جاءه ثلاثة نفر غلوا في العبادة؛ فبيّن لهم بفعله وقوله أن الاعتدال أساس العبادة الصحيحة: «أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»؛ فالسنة دعوة إلى التوازن، ودفع للملل والسآمة، وتنظيم لأوقات العمل والراحة، كما أوصى النبي -ﷺ- عبد الله بن عمرو حين أكثر من الصوم والقيام: «إِنَّ لِعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

والمؤمن وسطٌ في طلب الدنيا؛ يسعى في رزقه، ويتمتع بالمباحات، دون إسراف يطغيه أو بخل يقحمه في صفات أهل النار، والأقربون أولى بالبر؛ فقد كان النبي -ﷺ- خير الناس لأهله، يقول: «خيركم خيركم لأهله»، ويعبّر عن مشاعره لزوجاته، فيعلّم الأمة أن المعاشرة بالمعروف جزء من الاعتدال الإيماني.

إن الشريعة في مجملها قائمة على أصول كلية توجه الناس إلى الرفق واليسر، وإلى القصد الذي يبلغون به، وتجنب مسالك الإفراط والتفريط. ومن استمسك بهذا المنهج نال الحياة الطيبة في الدنيا، والنجاة والفلاح في الآخرة.

إحياء التراث الإسلامي تسهم في دعم

مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده الـ28

في إطار جهودها المتواصلة لتعزيز توطين العمل الخيري وترسيخ حضوره الفاعل داخل دولة الكويت، شاركت جمعية التراث الإسلامي في التصفيات النهائية لمسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده الـ٢٨، والتي تعدّ إحدى أبرز الفعاليات القرآنية داخل الكويت التي تقيمها الأمانة العامة للأوقاف، وتحظى بمشاركة واسعة من مختلف الفئات العمرية، وشمل الدعم المقدّم توفير المياه المبردة للمشاركين والحضور طوال أيام المسابقة.

نواف الصانع

وفي هذا السياق صرح المدير التنفيذي لجمعية إحياء التراث الإسلامي، نواف الصانع، أنَّ هذا الدعم يؤكد حرص الجمعية على مساندة الأنشطة الدينية التي تهتم بحفظ كتاب الله -تعالى- وتشجيع الناشئة على الإقبال عليه، باعتباره ركيزة أساسية في بناء الشخصية المسلمة وتعزيز القيم الأخلاقية في المجتمع؛ بما يضمن راحتهم ويهيئ لهم بيئة مناسبة للأداء والمنافسة، ولا سيما مع الأجواء الحارة التي تتزامن مع إقامة الفعالية.

تبني المبادرات التي تخدم المجتمع

وأكد الصانع استمرار الجمعية في تبني المبادرات التي تخدم المجتمع وتعزز القيم الدينية والإنسانية، مشيرا إلى أن دعم المسابقات القرآنية يأتي ضمن أولوياتها؛ لِما لها من أثر بالغ في تحفيز الشباب على حفظ القرآن وتجويده، وترسيخ الارتباط بكتاب الله -عزوجل-، وأعربت اللجنة المنظمة عن تقديرها لهذه المبادرة الكريمة، مؤكدةً أن مساهمة جمعية التراث الإسلامي تمثل امتدادًا لدورها المجتمعي الرائد، وتعكس صورة مشرفة للعمل الخيري الكويتي الذي يحرص على دعم البرامج الهادفة ونشر ثقافة العطاء.

تحت شعار: (الكرام البررة)

ومن الجدير بالذكر أن المسابقة الـ٢٨ انطلقت يوم الأحد ٢٣ نوفمبر ٢٠٢٥، تحت شعار (الكرام البررة)، برعاية سامية من حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله ورعاه-، وتشهد المسابقة هذا العام إقبالا واسعًا، بلغ: ٣٣٣٧ متسابقا ومتسابقة، يمثلون ٥٣ جهة خيرية ورسمية وأهلية، وتوزعت أعداد المشاركين في النسخة الحالية ما بين ١٥٨٠ متسابقًا من الذكور، و١٧٥٧ متسابقة من الإناث، يتنافسون في أشرف الميادين تلاوة وحفظا وتجويدا وتدبرًا، وتأتي الرعاية السامية للمسابقة تجسيدًا لعهد الدولة الأبدي تجاه كتاب الله -تعالى-، وتأكيدًا على أن الكويت ستبقى منارة للذكر الحكيم.

● الصانع: دعم المسابقات القرآنية يأتي ضمن أولويات جمعية إحياء التراث الإسلامي لِما لها من أثر بالغ في تحفيز الشباب على حفظ القرآن وتجويده وترسيخ الارتباط بكتاب الله عزوجل

كتاب (فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة)

ناصر نعمه العنيزان

أصدرت جمعية إحياء التراث الإسلامي طبعات مميزة من كتاب (فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة) للشيخ محمد بن حسين بن سعيد القحطاني، وحرصت على إنجاز الترجمة الإنجليزية للكتاب لتوسيع دائرة نشره عالميًا، وتأتي أهمية هذا العمل لما يتضمنه من فتاوى كبار العلماء في قضايا تمسّ أمن المجتمعات الإسلامية، مثل التفجيرات، واختطاف الطائرات، والخروج على ولاة الأمور، والمظاهرات، والاغتيالات، والعمليات الانتحارية، والتكفير والطعن في العلماء.

وقد ازدادت الحاجة الملحّة إلى مثل هذا الكتاب في ظل تصاعد موجات العنف والتفجيرات ومحاولات الاغتيال، واتساع دائرة التكفير، وظهور الدعوات المحرِّضة على الخروج على الحكام، مع سعي بعض الأطراف إلى إلصاق هذه الأفعال بالإسلام، والإسلام منها براء؛ فكان إصدار هذا الكتاب استجابة لحاجة الأمة إلى بيان الحكم الشرعي الصحيح المبني على أدلة العلماء الثقات.

● **ومن أبرز ما ورد في الكتاب فتوى الشيخ عبدالعزيز ابن باز - رحمه الله -** في حكم اختطاف الطائرات؛ حيث قال: «إن اختطاف الطائرات، وبني الإنسان من السفارات وغيرها، من الجرائم العظيمة العالمية، التي يترتب عليها من المفاسد الكبيرة والأضرار العظيمة ما لا يحصيه إلا الله»، وهي فتوى تؤكد أن هذه الأعمال لا علاقة لها بالجهاد ولا بمقاصد الشريعة، بل هي جرائم محرمة شرعًا.

● **كما تضمّن الكتاب بيان هيئة كبار العلماء في حكم التفجيرات داخل البلاد الإسلامية وغيرها**؛ حيث جاء فيه: «الهيئة إذ تقرر تحريم هذا الإجرام، تُحذِّر من نزعات السوء ومسالك الجنوح الفكري والفساد العقدي»، وهذا البيان يضع حدا لمحاولات تسويغ التفجيرات، مؤكدًا خطورتها على الدين والمجتمع.

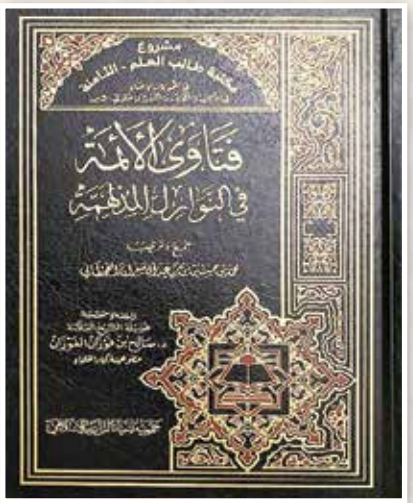

وفي موضوع الخروج على ولاة الأمر، نقل الكتاب كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الذي قال: «المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وإن كان فيهم ظلم؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الذي يزيله الخروج»، وهو أصل متين يعتمد عليه علماء الأمة في الحفاظ على وحدة الصف ومنع الفتن العمياء. كما أورد الكتاب فتوى للشيخ ابن باز - رحمه الله - في حكم المظاهرات؛ حيث قال: «إن المظاهرات من أسباب الفتن، ومن أسباب الشرور، ومن أسباب بغض الناس والتعدي بغير حق»، وفي فتوى أخرى حول الاغتيالات قال: «إن الدعوة بالاغتيالات ليست من سنة النبي -ﷺ- ولا من سنة أصحابه، وعلى الدعاة التحلّي بالحلم والصبر والكلام الطيب»، وفيما يتعلق بالعمليات الانتحارية، جاء في فتوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - قوله: «إن حمل المتفجرات والتقدم بها إلى الكفار ثم تفجيرها بينهم هو من قتل النفس، ومن قتل نفسه فهو خالد مخلد في نار جهنم»، وهو نصّ يقطع الباب أمام محاولات تسويغ هذه الأعمال تحت أي ذريعة.

● **أما في مسألة التكفير**، فقد ذكر الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله- أنه «لا يجوز تكفير العصاة لمجرد ارتكابهم المعصية، إلا إذا ظهر ما يدل على أنهم لا يحرمون ما حرّم الله ورسوله»، وبذلك وضع ضوابط علمية تمنع التسرّع في إطلاق أحكام التكفير.

● **وقد جاء إصدار هذا الكتاب** تلبية لحاجة الناس إلى فتاوى راسخة تقودهم إلى النجاة من الفتن، وتحفظ عليهم دينهم وأمنهم؛ إذ لا مخرج من النوازل إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، وردّ الأمور إلى العلماء الراسخين وولاة الأمور، كما تستعد الجمعية لإصدار الكتاب بلغات أخرى إلى جانب العربية والإنجليزية، لنشر الخطاب الشرعي المعتدل في أوسع نطاق.

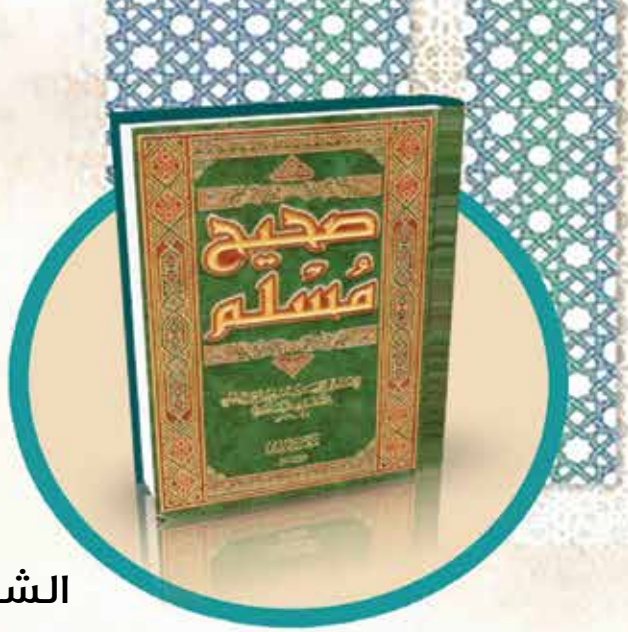

شرح كتاب الحج من صحيح مسلم

باب: في المَدينة حِينَ يَتْركها أهلُها

الشيخ: د.محمد الحمود النجدي

عن أَبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- يَقُولُ: «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِي- يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ- ثُمَّ يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا، فَيَجِدَانِهَا وُحْشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ؛ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا»، الحديث رواه مسلم في الحج (٢/١٠٠٩) باب: في المدينة حين يتركها أهلها، ورواه البخاري في كتاب فضائل المدينة (١٧٧٥) باب: مَنْ رَغِبَ عن المدينة.

● **قوله:** «تَتْرُكون المَدينة» كذا للأكثر بتاء الخطاب، والمُراد بذلك غير المُخاطبين مِنَ الصحابة، لكنّهم مِنْ أهل البلد، أو مِنْ نَسْل المخاطبين أو من نوعهم، وروي «يتركون» بتحتانية، ورجّحه القرطبي.

قوله: «على خير ما كانت»، أي: على أحْسن حالٍ كانت عليه مِنْ قبل، قال القرطبي تبعاً لعياض: قد وُجد ذلك، حيثُ صارت مَعْدن الخِلافة، ومَقْصد الناس وملجأهم، وحُملتْ إليها خيرات الأرض، وصارت مِنْ أعْمر البلاد، فلمّا انتقلت الخلافة عنها إلى الشّام ثم إلى العراق، وتغلّبت عليها الأعْراب، تَعاوَرتها الفِتَن، وخلتْ مِنْ أهلها فقصدتها عَوَافي الطّير والسّبَاع.

قوله: «لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَافِي»

«والعَوَافي» جمع عافية، وهي التي تطلبُ أقْواتها، ويقال للذّكر: عاف، قال ابن الجوزي: اجتمعَ في العوافي شيئان: أحدهما أنّها طالبةٌ لأقواتها، مِنْ قولك: عفوتُ فُلاناً أعْفوه، فأنا عاف، والجمع عُفاة، أي: أتيتُ أطلبُ معروفه، والثاني: من العَفاء، وهو المَوضع الخالي الذي لا أنيسَ به، فإنّ الطّير والوَحْش تقصده لأمْنها على نفسها فيه.

وقال النووي: المختار أنّ هذا التّرك يكون في آخر الزمان، عند قيام السّاعة، ويُؤيّده قصة الراعيين، فقد وقع عند مسلم بلفظ: «ثُمّ يُحْشَر رَاعيان» وفي البخاري «أنّهما آخرُ مَنْ يُحْشَر».

قال الحافظ: قلت: ويؤيده ما روى مالك، عن ابن حماس بمهملتين وتخفيف، عن عمه عن أبي هريرة رفعه: «لتَتركنّ المَدينة على أحْسَن ما كانَت، حتّى يَدْخلَ الذّئبُ فيَعْوي على بعض سَواري المَسْجد، أو على المِنْبر» قالوا: فلمَنْ تكونُ ثِمَارها؟ قال: «للعَوافي الطّير والسّبَاع» أخرجه معن بن عيسى في «الموطأ» عن مالك.

قال: ويشهدُ له أيضا ما روى أحمد والحاكم وغيرهما: مِنْ حديث محجن بن الأدرع الأسلمي قال: بعثني النبي -ﷺ- لحاجة، ثمّ لَقيني وأنا خارجٌ مِنْ بعض طُرُق المدينة، فأخَذَ بيدي حتّى أتينا أُحُداً، ثُمّ أقبلَ على المدينة، فقال: «ويلٌ أمّها قرية، يوم يدَعُها أهلُها كأينع ما يكون» قلت: يا رسُول الله، مَنْ يأكل ثمارها؟ قال: «عافية الطير والسباع».

وروى عمر بن شبّة بإسناد صحيح: عن عوف بن مالك قال: دَخَلَ رسُولُ الله -ﷺ- المسجد، ثُمّ نَظَر إلينا فقال: «أما والله ليَدَعنها أهلُها مُذلّلة أربعينَ عاماً للعَوَافي، أتدرُون ما العَوافي؟ الطّير والسباع»، قلت: وهذا لم يقع قطعا، وقال المهلب: في هذا الحديث أنّ المدينة تسكن إلى يوم القيامة، وإنْ خلت في بعض الأوقات لقصد الراعيين بغنمهما إلى المدينة.

قوله: «وآخر مَنْ يُحْشَر راعيان من مزينة»

من مُزَينة وهي قَبيلةٌ من مُضَر، من قَبائل العرَب، وهذا يحتمل أنْ يكون حديثا آخر مُسْتقلاً، لا تَعلّق له بالذي قبله، ويَحتمل أنْ يكون مِنْ تتمة الحديث الذي قبله، وعلى هذين الاحتمالين يترتّب الاختلاف الذي حكيته عن القرطبي والنووي، والثاني أظهر كما قال النووي.

قوله: «يَنْعقان» بكسر المُهملة بعدها قاف،

النَّعيق: زَجْر الغَنَم، يقال: نَعق ينعق بكسر العين وفتحها، نعيقاً ونعاقاً ونعقاناً، إذا صَاح بالغَنَم، وأغرب الداودي فقال: معناه يطلب الكلأ، وكأنّه فسّره بالمقصود مِنَ الزّجر؛ لأنّه يَزْجرها عن المَرْعى الوبيل، إلى المرعى الوسيم.

قوله: «فيَجِدَانها وُحُوشاً» أي: يجدانها ذاتَ وَحْش، أو يجدان أهْلَها قد صَارُوا وُحوشاً، وهذا على أنّ الرواية بفتح الواو أي: يجدانها خالية، وفي رواية مسلم: فيجدانها وَحْشاً، أي: خالية ليس بها أحد، والوحش مِنَ الأرض الخَلاء، أو كثرة الوَحْش لمّا خَلَت مِنْ سُكانها.

قال النووي: الصّحيح أنّ معناه: يَجدانها ذات وُحوش، قال: وقد يكون وَحْشاً بمعنى وُحُوش، وأصل الوحش: كلّ شَيءٍ تَوحشّ مِنَ الحَيَوان، وجمعه وُحُوش، وقد يعبر بواحده عن جمعه.

قال النووي: الصّواب الأول، وقال القرطبي: القُدْرة صالحة لذلك.

ويؤيده أنّ في بقية الحديث: «أنّهما يَخرّان على وجوههما، إذا وصلا إلى ثنيّة الوداع». وذلك قبل دخولهما المدينة بلا شك، فيدلّ على أنّهما وَجَدا التّوحّش المذكور قبل دخول المدينة، فيُقوي أنّ الضّمير يَعودُ على غنمهما، وكأنّ ذلك مِنْ عَلامات قِيام السّاعة.

• يترك الناس المدينة في آخر الزمان فتُصبحُ خالية من البشر إلّا أنّها على خير حال من النّماء وكثرة الزّروع

• الفرقُ بين العلامات الصُّغرى والكبرى أنّ الكبرى تكونُ أقربَ لقيام السّاعة وعَدَدُها قليلٌ ومُتتالية ولم يَقَعْ شيءٌ منها حتّى الآن

وثنيَّةُ الوَداع: هي الّتي مِن جهة تَبوكَ في طَريق الذّاهب مِنَ المدينة إلى الشّام، وسُمِّيتْ بذلك؛ لأنّهم كانوا يُشيّعونَ الحاجَّ والغُزاةَ إليها ويُودّعونهم عندَها، وهي اليومَ في قلْب عُمْران المُدينة.

قوله: «وآخرُ مَنْ يَحشر»

في رواية مسلم: «ثُمّ يَخْرُجُ راعيان مِنْ مُزينة، يُريدان المدينة» لمْ يذكر في الحديث: حشرهما، وإنّما ذكر مقدمته؛ لأنّ الحَشر إنّما يقع بعد الموت، فذكر سبب موتهما والحشر يعقبه.

وقولُه: «آخرُ مَن يُحشَرُ» أي: آخرُ مَن يَموتُ؛ وذلك أنّه لا حَشْرَ إلّا بعْدَ الموت، ويَحتملُ أنْ يَتأخَّرَ حَشْرُهما لتَأخُّرِ مَوتهما، ويَحتملُ آخرُ مَن يُحشَرُ إلى المدينة، أي: يُساقُ إليها.

قوله: «حتّى إذا بَلَغا ثَنيَّةَ الوَداع» أي: على مَدخل المدينة؛ سَقَطَا على وُجوههما ميِّتَين قد قُبِضَا.

وقوله: «خَرّا على وُجُوههما» أي: سَقَطا مَيّتين، أو المُراد بقوله: خَرّا على وجوههما، أي: سقطا بمَنْ أسْقطهما، وهو المَلَك كما تقدم في رواية عمر بن شبة. وفي رواية للعقيلي: «أنهما كانا ينزلان بجبل ورقان» وله من حديث حذيفة بن أسيد: أنهما يفقدان الناس فيقولان: ننطلق إلى بني فلان، فيأتيانهم فلا يجدان أحداً، فيقولان: ننطلق إلى المدينة، فينطلقان فلا يجدان بها أحداً، فينطلقان إلى البقيع فلا يريان إلا السباع والثعالب. وهذا يُوضّح أحد الاحتمالات المتقدمة، وقد روى ابن حبان: عن أبي هريرة رفعه: «آخر قرية في الإسلام خراباً المدينة» وهو يناسب كون آخر مَنْ يحشر يكون منها.

تنبيه: أنكرَ ابنُ عمر على أبي هريرة تعبيره في هذا الحديث بقوله: «خير ما كانت» وقال: «إنّ الصّواب أعْمَرَ ما كانت»، أخرج ذلك عمر بن شبة في «أخبار المدينة» من طريق مساحق بن عمرو: أنّه كان جالساً عند ابن عمر، فجاء أبو هريرة فقال له: لم ترد على حديثي؟ فوالله لقد كنتُ أنا وأنتَ في بيت حين قال النبي -ﷺ-: «يَخرجُ منْها أهلُها خَير ما كانت». فقال ابن عمر: أجل، ولكنْ لمْ يقلْ: «خير ما كانت»، إنما قال: «أعمر ما كانت»، ولو قال: «خير ما كانت» لكان ذلك وهو حيٌّ وأصحابه، فقال أبو هريرة: صدقت والذي نفسي بيده».

فوائد الحديث

- يُخبرُ النَّبيُّ -ﷺ- ببَعض ما يكونُ في آخرِ الزَّمان؛ وهو أنَّ النَّاسَ يَترُكونَ المدينةَ، فتُصبحُ خاليةً من البَشَر، إلَّا أنَّها على خَيرِ حالٍ من النَّماء، وكَثرةِ الزُّروع والثِّمار، ولخُلوِّها من البَشرِ تقصدها عَوافي السِّباع والطَّير.
- للسَّاعةِ عَلاماتٌ لنْ تَقومَ القيامةُ إلَّا بَعدَ وُقوعِها؛ منها علاماتٌ صُغرَى، ومنها عَلاماتٌ كُبرَى، والفَرقُ بيْن العَلامات الصُّغرَى والكُبرَى: أنَّ الكُبرى تكونُ أقرَبَ لقيامِ السَّاعة، وعَدَدُها قليلٌ، ومُتتاليةٌ، ولمْ يَقَعْ شَيءٌ منها حتَّى الآن، أمَّا الصُّغرى فهي كثيرةٌ ومُتباعدةٌ، ووقَعَ كَثيرٌ منها.

شَرْحُ مُخْتصر شُعَب الإيمان:

الثالث عشر من شعب الإيمان:

الإيمان بوجوب التوكل على الله-عزوجل-(٢)

الشيخ: د. عبدالرحمن الجيران

إن معرفة شعب الإيمان وفقهها مطلب لكل مؤمن يبتغي الوصول إلى الرشد والهداية والعلو في درجات الدنيا والآخرة، وقد جاء النص عليها في الحديث المشهور المعروف؛ حيث ذُكر فيه الأفضل منها والأدنى، وشعبة جليلة وهي الحياء، وحرصًا على معرفة تفاصيلها وأفرادها فقد صنف العلماء قديما مصنفات في تعدادها وإحصائها، كالحليمي والبيهقي، ولكن لما كانت مصنفاتهم طويلة موسعة، فقد عزف كثير من المسلمين عن قراءتها، ومن هنا جاءت فكرة الاختصار والتجريد، وهذا ما قام به القزويني في اختصار شعب الإيمان للحافظ البيهقي؛ لذلك شرحتها بأسلوب سهل مختصر مدعّم بالنصوص والنقول التي تزيد الأصل زينة وبهجة وجمالا.

● **أسباب كراهة الرُقية والكيّ مع التوكل:**

قال ابن حجر : أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة: أحدها - قاله الطبري والمازري وطائفة: إنه محمول على من اعتقد اعتقاد الطبائعيين، في أن الأدوية تنفع بطبعها، كما كان أهل الجاهلية يعتقدون، وقال غيره: الرقى التي يحمد تركها، ما كان من كلام الجاهلية، وما الذي لا يعقل معناه، لاحتمال أن يكون كفرا، بخلاف الرقى بالذكر ونحوه، وتعقبه القاضي عياض وغيره بأن الحديث يدل على أن للسبعين ألفا مزية على غيرهم وفضيلة انفردوا بها عمن شاركهم في أصل الفضل والديانة، ومن كان يعتقد أن الأدوية تؤثر بطبعها، أو يستعمل رقى الجاهلية ونحوها فليس مسلما؛ فلم يسلم هذا الجواب.

ثانيها - قال الداودي وطائفة: إن المراد بالحديث الذين يجتنبون فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء، وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا، وهذا اختيار ابن عبد البر.

ثالثها - قال الحليمي: يحتمل أن يكون المراد بهؤلاء المذكورين في الحديث؛ من غفل عن أحوال الدنيا وما فيها من الأسباب المعدّة لدفع العوارض؛ فهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء، وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلا الدعاء والاعتصام بالله، والرضا بقضائه؛ فهم غافلون عن طب الأطباء ورُقى الرقاة، ولا يحسنون من ذلك شيئا، والله أعلم.

رابعها - أن المراد بترك الرقى والكي، الاعتماد على الله في دفع الداء، والرضا بقدره، لا القدح في جواز ذلك، لثبوت وقوعه في الأحاديث الصحيحة، وعن السلف الصالح، لكن مقام الرضا والتسليم أعلى من تعاطي الأسباب، وإلى هذا نحا الخطابي ومن تبعه؛ قال ابن الأثير: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن الدنيا وأسبابها وعلائقها، وهؤلاء هم خواصّ الأولياء.

النبي -ﷺ- كان في أعلى مقامات التوكل

ولا يَرِدُ على هذا وقوع ذلك من النبي -ﷺ- فعلًا وأمرًا؛ لأنه كان في أعلى مقامات العرفان، ودرجات التوكل، فكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز، ومع ذلك فلا ينقص ذلك من توكله؛ لأنه كان كامل التوكل يقينًا، فلا يؤثر فيه تعاطي الأسباب شيئا، بخلاف غيره ولو كان كثير التوكل، لكن من تَرَكَ الأسباب، وفَوّضَ وأخلص في ذلك، كان أرفع مقاما. قال الطبري: قيل: لا يستحق التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف من شيء البتة، حتى السبع الضاري والعدو العادي، ولا من لم يسع في طلب رزق ولا في مداواة ألم، والحقُّ، أن من وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماض؛ لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب اتباعًا لسنته وسنة رسوله، فقد ظاهر -ﷺ- في الحرب بين درعين، ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشِّعب، وخندق حول المدينة، وأَذِن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادّخَر لأهله قوتهم، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك، وقال الذي سأله: أعقل ناقتي أو أدعها؟ قال: «اعقلها وتوكل»، فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل، والله أعلم» انتهى كلام ابن حجر -رحمه الله تعالى-.

● **تحقيق مقام التوكل بعد بذل الأسباب يجعل المؤمن هادئ النفس مطمئن القلب ينتظر الفرج من عند الله وكله شوق إليه**

تفويض الأمر إلى الله -تعالى-

● **قوله:** «وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله -تعالى-، والثقة به مع ما قدر له من التسبب، ففي الصحيحين أيضًا من حديث الزبير -رضي الله عنه-: «لأن يأخذ أحدكم حبله، ثم يأتي الجبل، فيأتي

• بذل أسباب السلامة في الدنيا جزء من التوكل وكذلك بذل أسباب السلامة في الآخرة فالمؤمن يعمل لدنياه ويعمل لأخراه

بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيستغني بها، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»، وقال سهل بن عبد الله: «التوكل حال النبي -ﷺ- والكسبُ سنته، فمن بقي على حاله، فلا يتركن سنتَّه»، أي أن التوكل حاله -ﷺ- القلبي والإيماني، والكسب سنته الفعلية العملية، وفي حديث الزبير -رضي الله عنه- «حثٌّ على التعفف، وتفضيل الكسب والسبب على البطالة، وجمهور المحققين -كابن جرير وأتباعه- على أن السبب لا ينافي التوكل؛ حيث كان الاعتماد على الله لا على السبب».

● قوله: وفي صحيح البخاري من حديث المقداد بن معديكرب: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه، قال: وكان داود لا يأكل إلا من عمل يديه»، وفي هذا الحديث يوضح النبي -ﷺ- أن أفضل طعام يأكله الإنسان هو الذي يأكله نتيجة كسبه وعمله، سواء كان نوع العمل حقيرًا أم عظيمًا، سواء أكان مقدار الأجر كثيرًا أم قليلًا، بل الذي عليه مدار الأمر أن يكون حلالًا لا شبهة فيه.

حال الأنبياء -عليهم السلام-

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: كان آدم عليه السلام حرّاثًا، ونوح نجّارًا، وإدريس خيّاطًا، وإبراهيم

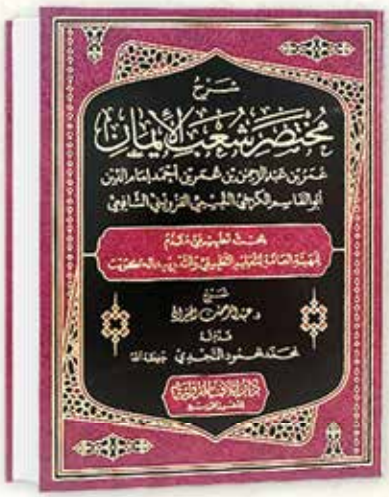

ولوط زرَّاعيْن، وصالح تاجرًا، وداود زرَّادًا، وموسى وشعيب ومحمد -صلوات الله عليهم- رعاة، وأما الآثار.. فروي أن لقمان الحكيم قال لابنه: يا بني استعن بالكسب الحلال؛ فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقةٌ في دينه، وضعفٌ في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الخصال استخفاف الناس به. وقيل لأحمد بن حنبل: ما تقول في رجل جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئًا حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي -ﷺ-: «إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي»، وقال حين ذكر الطير: «تغدو خماصًا وتروح بطانًا»، أي وقع من الطير سعي وحركة.

ذم الجلوس في المسجد الجامع للتسول

● **قوله:** «وبه أنبأنا البيهقي قال: أنبأنا أبو عبدالله الحافظ قال: أخبرني جعفر بن محمد بن نصير قال: حدثني الجنيد قال: سمعت السري يذم الجلوس في المسجد الجامع، ويقول: جعلوا المسجد الجامع حوانيت ليس لها أبواب»، «يذم الجلوس في المسجد الجامع»: يقصد الجلوس أمام أبواب المساجد للتسوّل، «ويقول: جعلوا المسجد الجامع حوانيت ليس لها أبواب» أي: دكاكين ليس لها أبواب.

● **قوله:** (وبه أنبأنا البيهقي بإسناده عن أبي بكر الصديق قال: دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك، ولا خير في امرئ بلا درهم)، وفي هذه العبارة يحث أبو بكر الصديق على المحافظة على الدين؛ فهو ما ينفع في الآخرة، والسعي للعمل، فهو ما ينفع في الحياة الدنيوية.

قوله: (وبه أنبأنا البيهقي قال: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرني جعفر بن محمد الخواص قال: أنبأنا إبراهيم بن نصر المنصوري قال: سمعت إبراهيم بن بشار -خادم إبراهيم بن أدهم- قال: سمعت أبا علي الفضيل بن عياض يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا وأنت بخلاف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي أنا أفعل ذا لأصون بها وجهي، وأكرم بها عرضي، وأستعين بها على طاعة ربي، لا أرى لله حقًا إلا سارعت إليه حتى أقوم به. فقال له الفضيل: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا!).

أهمية العمل والتجارة

هنا يُبيِّنُ ابن المبارك أهمية العمل والتجارة، وذكر لها فوائد شتى منها:

(١) صيانة النفس عن السؤال.
(٢) المحافظة على العرض والكرامة.
(٣) الاستعانة بها على طاعة الله.
(٤) المسارعة في الخيرات والحرص على الصدقات.
(٥) سد حاجة المعوزين.

أثر التوكل على سلوك المسلم

● تحقيق مقام التوكل بعد بذل الأسباب، يجعل المؤمن هادئ النفس، مطمئن القلب، ينتظر الفرج من عند الله وكُلّه شوق إليها.

● التعلق التام بالله -تعالى-، والثقة به، وعدم التأثر بالأسباب المادية.

● برد اليقين يجده المؤمن بقلبه والسكينة تملأ جوارحه، وهو يخوض غمار هذه الحياة متوكلا على الله معتمدا على فضله وعطائه ومواهبه التي لا تعد ولا تحصى، بخلاف غير المؤمن الذي يحفه القلق من كل جانب.

● بذل أسباب السلامة في الدنيا جزء من التوكل، وكذلك بذل أسباب السلامة في الآخرة جزء من التوكل؛ فالمؤمن يعمل لدنياه ويعمل لأخراه.

● ترك الأسباب بالكلية ينافي التوكل، وهذا مسلك دخل على الإسلام من الصوفية، وأيده أعداء الإسلام حتى أبطلوا الجهاد في سبيل الله -تعالى-.

د. أمير الحداد(*)
www.prof-alhadad.com

مكارم الأخلاق

ولا تجسسوا..

- سورة الحجرات هي (سورة الأخلاق)، ثماني عشرة آية، أرست مبادئ التعامل البشري، ابتداء من الرسول -ﷺ-، وإلى المؤمنين والبشر جميعا، وختمت بالتعامل مع الله -عز وجل-.

كنت أناقش وصاحبي موضوع الخطبة في مجلسنا المعتاد بعد صلاة الجمعة.

- بين النبي -ﷺ- مبدأ حسن الظن بعباد الله، بقوله في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إياكم والظن! فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»، الشرارة الأولى هي سوء الظن بعباد الله، هذا الظن السيء، يؤدي إلى كل ما بعده من التجسس والتباغض والتدابر.

كان المجلس أكثر من المعتاد، وقد شاركنا بعض رواد المسجد.

- أعجبني حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول -ﷺ-: «إذا ظننتم فلا تحققوا، وإذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا تطيرتم فامضوا وعلى الله توكلوا، وإذا وزنتم فأرجحوا» (السلسلة الصحيحة) ذلك أني أسمعه لأول مرة.

- نعم؛ حديث جميل، ذكر الداء والدواء، يزول الظن بعدم الاستجابة له، ويزول الحسد بعدم البغي، ويزول التشاؤم بالمضي والتوكل على الله.

إن مؤذننا أبا إبراهيم هو الذي يدير النقاش، علق أبو إسحاق طالب في السنة النهائية في الشريعة.

نعم قد يعرض في قلب المؤمن ظن بأخيه لرؤيته في مكان أو سماع كلام أو غيره فيما يوجب الريبة، فلا ينبغي أن يتتبع هذا الظن السيئ ويتجسس ليتحقق من صحته، بل يحسن الظن بأخيه ويوجد له الأعذار وينتهي، أما حديث «احترس من الناس بسوء الظن» (الطبراني في الأوسط والبيهقي وغيرهما)، فهو حديث ضعيف جدا كما ذكر الألباني -رحمه الله-، كان ابن عبدالبر في كتاب (بهجة المجالس) قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «لا يحل لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظن بها سوءا، ويجد لها في شيء من الخير مخرجًا».

تركنا الحديث لأبي إسحاق؛ لما لديه من علم شرعي.

تابعت حديثه: في (أنيس الجليس):

الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، بل عليه الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإنّ من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه، ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه.

والتجسس من شعب النفاق، كما إن حسن الظن من شعب الإيمان، و العاقل يحسن الظن بإخوانه، وينفرد بغمومه وأحزانه، كما إن الجاهل يسيء الظن بإخوانه، ولا يفكر في جناياته وأشجانه.

وأمر -سبحانه وتعالى- المؤمنين باجتناب كثير من الظن، وهو كل ظن لم يقم عليه دليل، وإن بعض الظن إثم، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢). قال ابن كثير -رحمه الله-: «يقول -تعالى- ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثير منه احتياطا.»

وهنا نورد قصة عمر بن الخطاب مع سعيد بن عامر الجمحي (واليه على حمص)؛ إذ قدر الله لعمر أن يزور هذه البلدة، ويسأل أهلها كيف وجدتم عاملكم؟ فيشكونه له، وكان يقال لأهل حمص: الكوفية الصغرى لشكايتهم عمالهم قائلين:

نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بهذا! وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدا بليل، قال وعظيمة! وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا، قال عظيمة! وماذا؟ قالوا: يغنط الغنطة بين الأيام (أي يغمى عليه ويغيب عن حسه) فلم يفصل عمر في الأمر، إلا بعد أن جمع بينهم وبينه، ودعا ربه قائلا: «اللهم لا تُفيِّل (تُخيب) رأيي فيه»، وكان عمر حسن الظن به، وبدأت المحاكمة؛ فقال عمر لهم أمامه: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار قال: ما تقول؟ قال: والله إن كنت لأكره ذكره: ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم؛ فقال: ما تشكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحدا بليل قال: ما تقول؟

قال: إن كنت لأكره ذكره: إني جعلت النهار لهم والليل لله -عز وجل-، قال: وما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار، قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنط الغنطة بين الأيام قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش من لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمدا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدا -ﷺ- شيك بشوكة، ثم نادى يا محمد؛ فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله -عز وجل- لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغنطة؛ فقال عمر بعد أن أظهر براءته أمامهم الحمد لله الذي لم يفيل فراستي، وبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك... ففرّقها».

في التفسير: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ التجسس: هو البحث عن عيوب الناس؛ فنهى الله -تعالى- عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم؛ حتى لا يظهر ما ستره الله منها، وفي الحديث عن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -ﷺ- قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات المسلمين، يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله». (صحيح الترغيب)؛ ولا يمكن ان نتحدث عن حسن الظن بالمسلمين دون ذكر حادثة الإفك والفتنة العظيمة التي وقعت بسبب بعض المنافقين ومن أساء الظن من المؤمنين: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (النور: ١٢).

(*) أستاذ في جامعة الكويت

هجرة العقول والكفاءات

رؤية إسلامية وحلول شرعية

إعداد: وائل سلامة

تُعدّ هجرة العقول والكفاءات من أخطر الظواهر التي تؤثر على المجتمعات النامية، ولا سيما الدول الإسلامية التي تعاني نزيفًا مستمرا في مواردها البشرية المؤهلة، ففي ظل المنافسة العالمية على استقطاب العقول المبدعة في العلوم والطب والهندسة والتقنية وغيرها، تصبح الكفاءات العربية والإسلامية معرضة للانتقال نحو بيئات أكثر تقدمًا واستقرارًا، وتزداد أهمية الظاهرة حين ندرك أن الإسلام جعل الإعمار والاستخلاف هدفًا للوجود الإنساني، كما قال -تعالى-: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} (هود: ٦١)، ورفع مكانة العلم والعلماء، فقال: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (المجادلة: ١١)، ومن هنا تنبعث الحاجة إلى معالجة ظاهرة هجرة العقول من منظور إسلامي يوازن بين حقوق الفرد وواجبات المجتمع، مستعرضًا الأسباب والتداعيات ومقدّمًا حلولًا شرعية وعملية.

• يؤكد المنهج الإسلامي أنَّ الاستخلاف في الأرض لا يتحقق إلا بتقدير العقول المتميزة وتوظيفها في خدمة المجتمع

أولاً: مفهوم هجرة العقول والكفاءات

عرفت هيئة الأمم المتحدة هجرة العقول والكفاءات بأنه: نزوح قدر كبير من السكان أصحاب المهارات والكفاءات العلمية والفنيين واتجاههم إلى دول تتيح لهم فرصًا اقتصادية واجتماعية أفضل، وعلى سبيل المثال نزوح الأطباء في دولة نامية لممارسة الطب في دولة متقدمة، كما يعبر عن هجرة الكفاءات بـ «هجرة الأدمغة»، وهو مصطلح صاغته الجمعية الملكية لوصف هجرة «العلماء والتقنيين» إلى أمريكا الشمالية من أوروبا ما بعد الحرب العالمية الثانية، واستُخدمَ هذا المصطلح في الأصل للإشارة إلى عمال التكنولوجيا الذين يغادرون دولة ما، ولكن معناه اتسع إلى «مغادرة الأشخاص المتعلمين أو المحترفين من بلد ما، أو قطاع اقتصادي، أو مجال إلى بلد آخر، عادة بحثًا عن أجور أو ظروف معيشية أفضل».

ويصنف المهاجرون العرب والمسلمون إلى الدول الغربية إلى صنفين اثنين:

- **الصنف الأول:** المتخصصون الذين يستهدفون العمل والبحث عن فرص للتألق العلمي والاستفادة من مناخ يحفز الإبداع ويقدر الابتكار.
- **الصنف الثاني:** الطلاب الذين يهاجرون من دولهم العربية الإسلامية إلى الدول الغربية المتقدمة بهدف الدراسة والتدريب والتوسع في الخبرة، ولكنهم يقررون البقاء والعمل في تلك الدول لفترات قد تقصر أو تطول، وبعضهم لا يعودون إلى أوطانهم.

ثانيًا: موقف الإسلام من الكفاءات والمبدعين

الرؤية الإسلامية للكفاءات والعقول المبدعة رؤية متميزة؛ حيث ينظر إليها بوصفها ثروة بشرية لا تقدّر بثمن، واستثمارًا استراتيجيا في نهضة الأمة وارتقائها، فهذه الشريحة تحقق قيمة الإتقان والتجويد في كل عمل، امتثالًا لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، وقوله -سبحانه-: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (التوبة:١٠٥)؛ لتؤكد أن التميّز ليس هبة عابرة، بل ثمرة جهد متقن، وروح تدرك قيمة ما تقدّم، كما قال رسول الله -ﷺ-: «إنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه»، وقد جعل الإسلام من العلم والكفاءة معيارًا للتفاضل والتكليف، بعيدًا عن العصبية أو المحسوبيات؛ فالإسلام دين حضارة، يربط بين العبادة والعمران.

ويؤكد المنهج الإسلامي أنَّ الاستخلاف في الأرض لا يتحقق إلا بتقدير العقول المتميزة وتوظيفها في خدمة المجتمع، قال -تعالى-: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، دلالة على أن العلم يرفع صاحبه مكانةً ودرجةً، وفي قصة يوسف -عليه السلام- حين قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥)، تؤكد أن كفاءة الحفظ والعلم شرط في تولي المسؤوليات، وفي السنة النبويَّة شواهد كثيرة منها حديث النبي -ﷺ-: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، يبين خطورة إسناد المسؤوليات لغير الأكفاء، من هنا فقد أسس الإسلام بذلك نموذجًا حضاريًا عالميًا، يقوم على تقدير العقول المتميزة وتوظيفها في خدمة المجتمع، وفي ظل التحديات المعاصرة، فإن استلهام الموقف الإسلامي يمثل ضرورة لإعادة الاعتبار للكفاءات والعقول المبدعة، بعيدًا عن المحسوبيات والاعتبارات الضيقة.

ثالثًا: أسباب هجرة العقول والكفاءات

تتعدّد العوامل المؤدّية إلى هجرة العقول والكفاءات من أوطانها إلى بلدان أخرى، ويمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسين:

• هجرة العقول والكفاءات من أخطر الظواهر التي تؤثر على المجتمعات النامية ولاسيما الدول الإسلامية التي تعاني نزيفًا مستمرا في مواردها البشرية المؤهلة

أولًا: العوامل الدافعة للهجرة، وهي الأسباب المرتبطة ببلدان المنشأ، وتشمل:

- ضعف الإمكانات والموارد المتاحة للبحث العلميّ والعمل المتخصص.
- سوء الأوضاع الاقتصادية وارتفاع معدلات البطالة، وما يرافق ذلك من محدودية فرص العمل.
- قصور البنية التحتية البحثية والتقنية، وضعف المؤسسات العلمية.
- غياب الاستقرار السياسي وتراجع مستويات الأمان الاجتماعي والمعيشي؛ ما يجعل البيئة المحلية غير جاذبة للعاملين في المجالات المتقدمة.

ثانيًا: العوامل الجاذبة للهجرة، وهي الأسباب المرتبطة بالبلدان المستقبِلة للكفاءات، وتشمل:

- توفير فرص عمل واسعة برواتب مجزية وحوافز مهنية وبحثية.
- توفير مساحة أكبر للحرية الفكرية والإبداع والبحث.
- التفوق في الأنظمة التعليمية والبيئات العلمية المتقدمة.
- جودة عالية في مستوى المعيشة، ورعاية صحية أفضل، وتسهيلات تساعد أصحاب المواهب على تطوير قدراتهم.

عوامل إضافية مؤثرة

إلى جانب ما سبق، توجد مجموعة من العوامل التي تسهم في تفاقم تلك الظاهرة، من أبرزها:

- **ضعف المبادرات الحكومية** لتقديم التسهيلات والمزايا التي تستثمر قدرات أصحاب العقول والمهارات.
- **قلة الفرص الوظيفية المناسبة**، مقابل ما تقدمه الدول المستقبلة من دخل عالٍ وامتيازات مهنية.

حلقة مترابطة من الإجراءات

إن هجرة العقول تمثل حلقة مترابطة بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والنفسية، وتؤكد أن معالجتها تتطلب سياسات شاملة لتعزيز التنمية، وتوفير بيئات جاذبة للكفاءات، وحماية البحث العلمي المحلي، وتنمية روح الانتماء لدى الشباب، لضمان استمرار بناء القدرات وتحقيق نهضة مستدامة.

• أسس الإسلام نموذجًا حضاريًا عالميًا يقوم على تقدير العقول المتميزة وتوظيفها في خدمة المجتمع واستلهام هذا الموقف يمثل ضرورة لإعادة الاعتبار للكفاءات والعقول المبدعة

● من أسباب هجرة العقول والكفاءات ضعف الإمكانات والموارد المتاحة للبحث العلميّ وسوء الأوضاع الاقتصادية وارتفاع معدلات البطالة

● الرؤية الإسلامية للكفاءات والعقول المبدعة رؤية متميزة حيث ينظر إليها بوصفها ثروة بشرية لا تقدّر بثمن واستثمارًا استراتيجيا في نهضة الأمة وارتقائها

● **رغبة أصحاب الكفاءات في تحسين مسارهم** المهني أو استكمال دراساتهم العليا في بيئات أكاديمية رائدة.

● **تأثير الأسرة والأقارب** الذين يشجّعون على الهجرة، سواء داخل البلد أو خارجه.

● **انتشار التمييز في التعيين والترقية** داخل المؤسسات في بعض الدول؛ ما يضعف العدالة المهنية.

● **محدودية الموارد المتاحة للبحث والدراسة**، وغياب الأجهزة والمختبرات المتخصصة.

● **تدنّي جودة البنية التحتية للتعليم**، وقلّة الفرص المتاحة لطلاب الدراسات العليا.

رابعًا: تداعيات هجرة العقول والكفاءات

تؤثر هجرة العقول والكفاءات على تقدم الدول العربية والإسلامية؛ لما لها من أثر بالغ في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، ويمكن تفصيل أبرز الدوافع وراء هذه الظاهرة على النحو التالي:

أولًا: ضعف التنمية الاقتصادية والاجتماعية

يؤدي الركود الاقتصادي وضعف التنمية الاجتماعية إلى فقدان المجتمع لكفاءاته المتميزة؛ إذ يفتقر الشباب الموهوبون إلى الفرص المناسبة لتطبيق معارفهم ومهاراتهم، ويشعرون بالإحباط أمام محدودية الموارد والتسهيلات؛ ويترتب على هذا الأمر نزوح العقول المبدعة بحثًا عن بيئات توفر فرصًا أوسع للنمو المهني والابتكار العلمي.

ثانيًا: تراجع القدرة التنافسية

مع استمرار هجرة الكفاءات، تتراجع قدرة الدول على المنافسة في الأسواق العالمية؛ فغياب الخبرات المحلية يفرض على الدولة الاعتماد على خبرات أجنبية مكلفة؛ ما يزيد من الفجوة التقنية والمعرفية بين الدول المتقدمة والدول النامية، وهذا التراجع يضعف السياسات الوطنية ويحدّ من إمكانية تطوير الصناعات والتقنيات المحلية، ويجعل الوطن أكثر هشاشة أمام التحديات الاقتصادية.

ثالثًا: ضعف البحث العلمي المحلي

تؤدي الهجرة المستمرة للكفاءات العلمية إلى تقليص الإنتاج البحثي المحلي؛ ما يقلل من مستوى الابتكار وتطوير التقنيات المتقدمة، فالجامعات والمراكز البحثية التي يفقدها الوطن تتأثر قدراتها على تطوير مشاريع علمية رائدة، بينما يزداد الاعتماد على حلول جاهزة

● منظمة اليونسكو: هجرة العقول نوع سلبي من أنواع التبادل العلمي بين الدول لأن في هجرة العقول نقلا مباشرا لأحد أهم عناصر الإنتاج وهو العنصر البشري

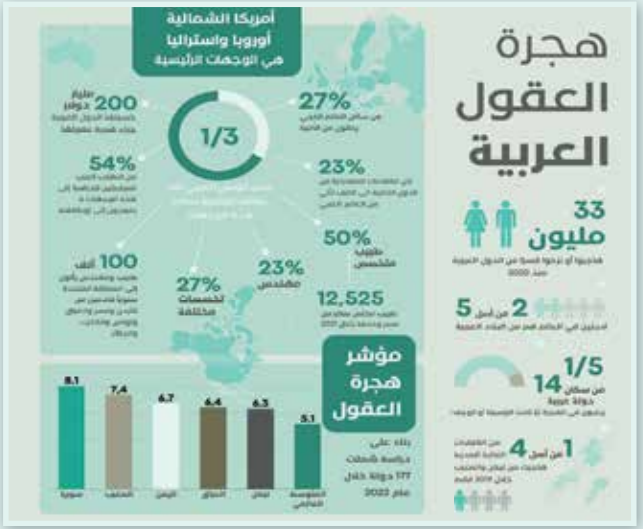

● يؤدي الركود الاقتصادي وضعف التنمية الاجتماعية إلى فقدان المجتمع لكفاءاته المتميزة إذ يفتقر الشباب الموهوبين إلى الفرص المناسبة لتطبيق معارفهم ومهاراتهم

ومستوردة من الخارج، بما يحدّ من استقلالية البحث العلمي ويؤخر تحقيق النهضة التكنولوجية.

رابعًا: التأثير النفسي والاجتماعي

تترسخ ظاهرة هجرة العقول أيضًا في الجانب النفسي والاجتماعي؛ حيث يشعر الشباب الموهوبون بالإحباط نتيجة عدم تقدير مهاراتهم وفرصهم، ويضعف لديهم روح المبادرة والمنافسة، هذا الإحباط لا يؤثر على الأفراد فحسب، بل يمتد ليؤثر في المجتمع بأسره، حيث يقلّ الإبداع الجماعي ويضعف الإحساس بالانتماء والولاء للوطن، ويصبح الاستثمار في الموارد البشرية المحلية أقل جدوى.

خامسًا: معالجة هجرة العقول العربية

بات لزامًا على الدول والمؤسسات بذل جهود متكاملة لمعالجة هذا النزيف العلمي، وذلك عبر مجموعة من الوسائل والسبل من أبرزها ما يأتي:

أولًا: بناء بيئة علمية جاذبة للكفاءات

- دعم الحريات الأكاديمية وضمان استقلال المؤسسات العلمية، وتوفير إطار قانوني يحمي حرية البحث وتداول المعرفة.
- تحسين الأجور والحوافز وربطها بالإنتاج والابتكار، مع توفير احتياجات السكن والخدمات الأساسية للباحثين.
- إنشاء مراكز علمية وتنموية متقدمة، والاستفادة من الخبرات العربية في الخارج عبر برامج إشراف وتطوير مشتركة.
- تمكين القطاع الخاص من الاستثمار في التعليم والبحث ضمن ضوابط تضمن البعد التنموي لا الربحي فقط.
- دعم المبدعين بوضع تشريعات لحماية الملكية الفكرية وحرية الابتكار، وتأسيس مؤسسات تُعنى بالمواهب.
- تعزيز فرق البحث المشتركة وتشبيك التخصصات لضمان تحويل المعرفة العلمية إلى تطبيقات عملية.

ثانيًا: إصلاح منظومة التعليم

- تطوير المناهج منذ المراحل الأولى لغرس قيمة العلم والانتماء، وبيان الفرق بين التعاون العلمي واستنزاف الكفاءات.
- مواءمة المناهج الجامعية والدراسات العليا مع التطورات العلمية الحديثة وتحديثها المستمر.
- توفير مصادر المعرفة ودعم الترجمة والتأليف والنشر عبر تشريعات تحمي حقوق المبدعين وتشجع الإنتاج الثقافي.

• تؤدي الهجرة المستمرة للكفاءات العلمية إلى تقليص الإنتاج البحثي المحلي ما يقلل من مستوى الابتكار وتطوير التقنيات المتقدمة

• تؤثر هجرة العقول والكفاءات على تقدم الدول العربية والإسلامية لما لها من أثر سلبي بالغ في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

ثالثًا: وضع سياسات وطنية وإقليمية

- إعداد برامج وطنية للحد من هجرة العقول، وإنشاء مراكز متخصصة لإدارة شؤون الكفاءات والبحوث العلمية.
- تبنّي سياسة عربية موحدة للقوى العاملة تقوم على التكامل بين الدول وفق احتياجاتها العلمية والمهنية.
- إجراء مسح شامل للكفاءات العربية بالخارج لرصد خبراتهم وسبل الاستفادة منهم.
- تنظيم مؤتمرات دورية للمغتربين لتعزيز نقل التكنولوجيا والمشاركة في المشاريع التنموية.
- بناء شراكات علمية مع الدول الغربية والمؤسسات الدولية تقوم على تبادل المعرفة لا استنزافها.

رابعًا: تعزيز الارتباط بين الكفاءات المهاجرة والوطن

- دعم إنشاء الروابط والجمعيات التي تجمع الكفاءات العربية في الخارج، وتذليل العوائق الإدارية التي تحدّ من مشاركتهم في قضايا أوطانهم.
- توفير حوافز وتسهيلات تشجعهم على العودة المؤقتة أو الدائمة، والمساهمة في مشروعات التنمية والتحديث.
- نشر الوعي بأهمية اقتصاد المعرفة، وبيان أن النموذج الإسلامي الحضاري هو السبيل لوقف نزيف الكفاءات وتحقيق التنمية المستدامة.

أرقام وإحصاءات

أظهرت بعض الدراسات التي قامت بها جامعة الدول العربية ومنظمة اليونيسكو والبنك الدولي أن العالم العربي يسهم في ثُلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية، وأن ٥٠ ٪ من الأطباء، و ٢٣ ٪ من المُهندسين، و١٥ ٪ من مجموع الكفاءات العربية المُتَخَرجَة يهاجرون متوجهين إلى أوروبا والولايات المُتحدة وكندا، ما يفرز تبعات سلبية على مستقبل التنمية العربية، وذكرت التقارير أن ٥٤ ٪ من الطلاب العرب، الذين يدرسون في الخارج، لا يعودون إلى بلدانهم، كما يُشكِّل الأطباء العرب في بريطانيا ٣٤ ٪ من مجموع الأطباء فيها، ولخصت تقارير الجامعة العربية واليونسكو الأسباب والدوافع الأساسية لهجرة العقول العربية، في عجز الدول العربية والنامية، على استيعاب أصحاب الكفاءات، الذين يجدون أنفسهم عاطلين عن العمل، إضافة إلى ضعف الدخل المادي المخصص لهم، وفقدان الارتباط بين أنظمة التعليم ومشاريع التنمية والتطوير.

ثبات أهل الإيمان في الفِتن

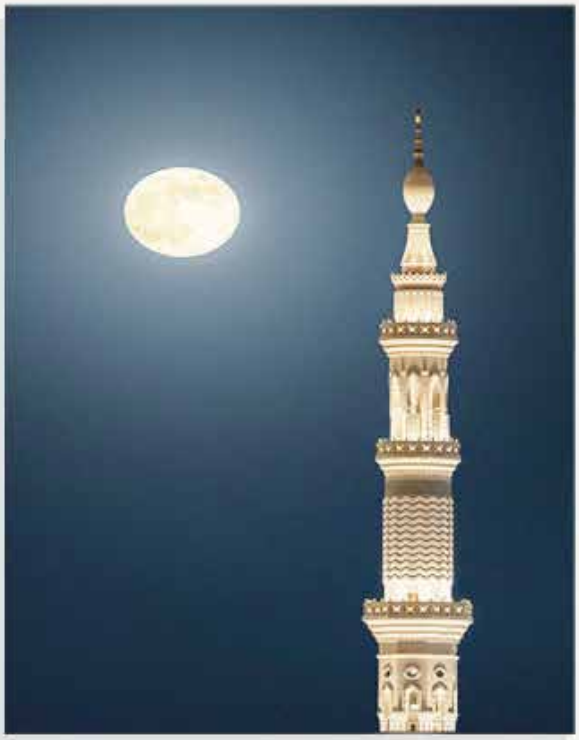

إنَّ الفتن الملمَّة والأحداث المدلهمة، إذا حلَّت بالناس ونزلت بهم، أظهرت حقائقهم وكشفت معادنهم، وميَّزت طيِّبَهم من خبيثهم وحسنهم من سيِّئهم، ولله الحكمة البالغة في ذلك ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال:٣٧)، وهذه من حكمة الله في ابتلائه خلقه، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد:٣١).

الحياة كلها ميدان ابتلاء ودار امتحان، والناس فيها ليسوا سواء؛ فمنهم ﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، ومنهم من يعبد الله على علم وبصيرة وإيمان راسخ وعقيدة صحيحة؛ فإن أصابته فتنة صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته نعمة شكر فكان خيرًا له، وهذا لا يكون لأحد إلا للمؤمن، فأمره كله خير، وأحواله كلها حسنة طيبة، وعواقبه كلها حميدة ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف:١٢٨).

وإنَّ للإيمان الصحيح والعقيدة السليمة أثراً قويا ودورًا بارزًا في التغلب على الأحداث والملمات، والمصائب والمحن، والنوازل والفتن؛ ذلك أنَّ صاحب الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة تعلَّم من دينه أمورًا مهمة ودروساً عظيمة، تُعينه على الثبات في الأحوال ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن أهم هذه الأمور أن يعلم علم اليقين الذي لا يخالطه شك ولا يداخله ريب، أنَّ خالق هذا الكون وموجده ومدبر شؤونه هو الله وحده لا شريك له، وأنه وحده المتصرِّف فيه، وأنه لا يكون فيه إلا ما شاء -تبارك وتعالى-، فأزمَّة الأمور كلها بيده، ومقاليد السماوات والأرض كلها له، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير.

كذلك المؤمن يعلم أنه لن تموت نفسٌ حتى تستوفي أجلها وتستتم رزقها، فلن يموت أحد قبل منيَّته ولا بعدها ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس:٤٩)، فالآجال محدَّدة والأعمار مؤقَّتة، ولكل أجل كتاب ولكل نفس ميعاد، ولا يحول بين المرء وبين أمر الله شيء، كما قال -تعالى-: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ (النساء:٧٨). والمؤمن؛ لشدة ثباته وقوة يقينه، لا تزعزعه الأراجيف ولا تخوِّفه الدعايات، بل إنه إذا خُوِّف بالذين من دون الله زاد إيمانًا وثقة بالله وتوكلاً واعتمادًا عليه، قال -تعالى-: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلَام- حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا -مُحَمَّدٌ ﷺ- حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ومعنى حسبنا الله: أي كافينا.

• للإيمان الصحيح والعقيدة السليمة أثر قوي ودور بارز في التغلب على الأحداث والملمات، والمصائب والمحن، والنوازل والفتن

شهادات منصفة للحضارة الإسلامية

القسم العلمي بالفرقان

لم تكن الحضارة الإسلامية مجرّد مرحلة تاريخية عابرة، بل كانت مشروعًا إنسانيا شاملاً أضاء جانبي الروح والعقل، وشكّلت إحدى أعظم محطات التطور البشري في العلم والفكر والعمران، وقد ترك المسلمون بصمتهم العميقة في مجالات متنوعة: من الطب والفلك والرياضيات، إلى الفلسفة والأدب والنظم الاجتماعية، ولم يقتصر أثرهم على العالم الإسلامي وحده، بل امتد إلى الشرق والغرب، حتى اعترف كثير من المنصفين من علماء الغرب ومفكريه بأن النهضة الأوروبية ذاتها قامت على أسس علمية وفكرية، نقلت عن المسلمين وطوّرت على أيديهم، وفي هذا المقال نستعرض نماذج من هذه الشهادات المنصفة، التي تكشف عن امتداد الحضارة الإسلامية وقيمها المشرقة، وتشهد بما قدمته للإنسانية من علم وعدل وسمو حضاري يستحق التأمل والاعتزاز.

ذخيرة هائلة من الحق الإلهي

● **يقول (مونتجمري وات رئيس قسم الدارسات العربية في جامعة أدنبره) في كتابه (الإسلام والمسيحية اليوم):** أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامي، ينطوي على ذخيرة هائلة من الحق الإلهي، الذي ما زال يجب عليَّ أنا وآخرون من الغربيين أن نتعلَّم منه الكثير، ومن المؤكد أن الإسلام منافِس قوي في مجال إعطاء النظام الأساسي للدين الوحيد الذي يسود في المستقبل.

احتفاظ الإسلام بمنزلته الثابتة

● **يقول المستشرق السويسري (إدوارد مونتيه - رئيس جامعة جنيف) (ت ١٩٢٧م):** على الرغم من التطور الخصب، بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لتعاليم النبي -ﷺ-، فقد احتفظ القرآن بمنزلته الثابتة؛ بوصفه نقطة البداية الرئيسية لفهم الدين، وصار يعلن دائمًا عن عقيدة توحيد الله، في سموٍّ وجلال وصفاء دائم، مع اقتناع يقيني متميِّز، من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام، إن عقيدة بمثل هذه الدقة، ومجردة من كل التعقيدات اللاهوتية، ومن ثم يمكن للفهم العادي أن يتقبَّلها بسهولة، فمِن المتوقَّع أن تكون لها قدرة عجيبة - وهي في الواقع تمتلك هذه القدرة- على اكتساب طريقها إلى ضمائر البشر.

يجب أن يُسمَّى منقذ الإنسانية

● **يقول (جورج برناردشو الكاتب والمفكر والفيلسوف الإنجليزي الأيرلندي- ت١٩٥٠م):** لقد كنت دائمًا أحتفظ لدين محمد عندي بأعلى التقدير؛ وذلك بسبب حيويَّته المدهشة، إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي أنه يمتلكُ القدرة على استيعاب تغيُّر أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور، لقد درست محمدًا، ذلك الرجل العجيب وفي رأيي أنه أبعد ما يكون عمَّن يسمى ضد المسيح، ويجب أن يُسمَّى منقذ الإنسانية، إني أعتقد لو أن شخصًا مثله تولَّى الحكم المطلق للعالم المعاصر، لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب له ما هو في أشد الحاجة إليهما من سلام وسعادة، لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولًا في أوروبا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولًا في أوروبا اليوم.

الإسلام إلى أين؟

● **يقول (هاملتون جب المستشرق الإنجليزي والأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية في كتابه الإسلام إلى أين؟):** لا يزال لدى الإسلام فضل آخر يبذله من أجل قضية الإنسانية؛ فهو يقف، على كل حال، أقرب إلى الشرق أكثر من موقف أوروبا منه، كما أنه يمتلك تقاليد رائعة فيما يتعلَّق بالتفاهم والتعاون بين أجناس البشر؛ فلم

يحرز أي مجتمع آخر -غير إسلامي- مثل هذا السجل من النجاح في التوحيد بين ذلك القدر الهائل والمتنوع من الأجناس البشرية؛ بتحقيق المساواة أمام القانون، وتكافؤ الفرص للجميع، ولا يزال الإسلام قادرًا على تحقيق مصالحة بين عناصر الجنس البشري وتقاليدها التي تستعصي على التصالح، وإذا قُدِّر أن يحل التعاون يوما مًا محلَّ التعارض القائم بين المجتمعات الكبيرة في الشرق والغرب؛ فإن وساطة الإسلام تصبح شرطًا لا غنى عنه؛ إذ يكمن بين يديه إلى حد كبير حل المشكلة التي تواجه أوروبا في عَلاقتها بالشرق.

التعبير الكامل عن إرادة الله

• على الرغم من الدَّور غير الأخلاقي للمستشرق (لبرنارد لويس) فإنه كتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية يقول: «أرسل الله المَلَك جبريل ليُملي القرآن على محمد -ﷺ-، بهذا يكمل القرآن سلسلة الوحي التي سبق أن أنزل إلى أنبياء اليهود وإلى عيسى، ومن ثَم يكون محمد -ﷺ- أعظم الأنبياء وخاتمهم، ويكون القرآن هو (الكتاب) الأخير، والتعبير الكامل عن إرادة الله فيما يتعلق بحياة الناس، بينما الإسلام في إخلاصه للقرآن الصحيح للهِ -سبحانه وتعالى- إنما هو حضارة؛ إذ لا يمكن فصل محتواه الديني عن تنظيم حياة البشر؛ ذلك التنظيم الذي كان يوضع موضع التنفيذ فورًا بمجرد التنزيل، وعندما مات محمد -ﷺ-، كانت بعثته الروحية والنبوية قد اكتملت، وكانت مهمته التي حددها الله هي: استعادة التوحيد الحقيقي الذي علَّمه وبلَّغه الأنبياء السابقون، وكانت مهمة محمد -أيضًا- القضاءَ على الوثنية، وتبليغ الوحي الذي جدَّد الدين الحقيقي والشريعة الإلهية، وكان هذا ما فعله محمد أثناء حياته، وعند موته عام ١١هـ - ٦٣٢م كانت إرادة الله قد أوحى بها كاملةً إلى البشرية، ولن يكون بعد ذلك نبي أو وحي آخر.

ويزعم بعضُهم أحيانًا أن الدين الإسلامي قد فُرض بالقوَّة، إن هذا القول غير صحيح، مع أن عمليات الفتح قد أسهمت إلى حدٍّ كبير في امتداد الإسلام والعروبة، فبعد وفاة النبي بقرن، وفي إمبراطورية واسعة يحكمها وَرَثة محمد، وتضم العديد من الأقطار والشعوب، كان الإسلام هو الدينَ السائد، وكانت اللغةُ العربية تحلُّ سريعًا محلَّ اللغات الأخرى وتفرض نفسها ولا سيما في الإدارة والتجارة والتعليم.

• برنارد لويس: يزعم بعضُهم أحيانًا أن الدين الإسلامي قد فرض بالقوَّة لكن هذا القول غير صحيح فعمليات الفتح قد أسهمت إلى حدٍّ كبير في امتداد الإسلام والعروبة

لقد قامت حضارةٌ أصيلة مستوحاة من العقيدة الإسلامية، ومتمتعة بحماية الدولة الإسلامية، ومدعَّمة بثراء اللغة العربية، حضارة تنمو وتتَّسع وتعيش طويلًا، وقد صنعها الرجال والنساء من مختلف الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كل شيء فيها بالعروبة والمبادئ والقيم الإسلامية.

الإسلام يحفظ للحياة معناها

• ويقول (روجيه دي باسكيه الصحفي السويسري) الذي درس الإسلام واعتنقه هو وزوجته الهولندية في كتابه (اكتشاف الإسلام): لقد جاء الإسلام إلى الناس لمساعدتهم على عبور هذه المرحلة الأخيرة من التاريخ العالَمي دون أن يتعرَّضوا للضياع، وباعتباره الوحي الأخير في سلسلة النبوات، فإنه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التي تسود العالم حاليًا، وإقرار النظام والنقاء في داخل الإنسان، وإيجاد التآلف والانسجام في العَلاقات الإنسانية، وتحقيق الهدف الأسمى الذي من أجله دعانا الخالق إلى هذه الحياة، إن الإسلام يخاطب الإنسانَ الذي يعرفه معرفة عميقة ودقيقة، محددًا بالضبط وضعه بين المخلوقات وموقفه أمام الله.

ورُبَّ معترض يقول: إنَّ حال المسلمين اليوم لا يعطي انطباعًا جديدًا عن إمكانية تحقيق السعادة والسلام، وهنا يوجد الكثير للردِّ به على مثل هذا الاعتراض، ونكتفي الآن بإيراد بعض الملاحظات الموجَزة قبل العودة للحديث عن أوضاع العالم الإسلامي، إن المسلمين بوجه عامٍّ على وعي تام بأنهم عاشوا بعيدًا جدًّا عن المُثُل الحقيقية للوحي الذي تلقَّاه النبي محمد، وهم يعترفون صراحةً بأنهم لو اتبعوا تعاليم الإسلام، فإن حياتهم كلها ستتغير إلى أفضل حال، إنَّ الإسلام -بوجه عامٍّ- يُضفي على الإنسان كرامةً لا يستطيع الفقر أن يمحوَها، بل إنه في بعض الأحيان قد عزَّزها، وهكذا نرى بوضوح أنه حتى في أشد الحالات فقرًا وعوَزًا، فإن الإسلام يحفظ للحياة معناها ويعطيها مذاقًا يجعلها جديرة بأن يحياها الإنسان.

• مارسيل بوازار: الإسلام حضارة أعطتْ مفهومًا خاصًا للفرد وحدَّدت بدقة مكانه في المجتمع وقدَّمتْ عددًا من الحقائق الأولية التي تحكم العَلاقات بين الشعوب

الإسلام هو التجلِّي الأخير والأكمل للحضارة

• ويقول (مارسيل بوازار في كتابه إنسانية الإسلام): الإسلام يعد التجلِّي الأخير والأكمل للحضارة في هذه المنطقة من العالم، ولقد نفَذت أفكاره إلى أوروبا وآسيا باللغة العربية، عبر البحر الأبيض المتوسط وفوق جبال البرانس، وفي كلمة موجزة: فإن الإسلام حضارة أعطَتْ مفهومًا خاصًا للفرد، وحدَّدت بدقة مكانه في المجتمع، وقدَّمت عددًا من الحقائق الأولية التي تحكم العَلاقات بين الشعوب، كما أن هذه الحضارة لم تقدم فقط مساهمتها التاريخية الخاصة في الثقافة العالَمية، ولكنها كانت تؤكِّد أيضًا، ولها مسوغاتها، على تقديم حلول للمشكلات الرئيسية للأفراد والمجتمعات، والمشكلات الدولية التي تثير الاضطرابات في العالم المعاصر.

إن الإسلام هو اتِّصال بين الله وبين الإنسان، بل إن جوهر هذا الدين يرتبط باسمه، فعندما تكون هناك ترجمة صحيحة، فالإسلام هو «تسليم» يقيني إيجابي وعن طواعية للمشيئة الإلهية، ونسب الإسلام، بجذره اللُّغوي إلى الكلمة العربية التي تعني السلام والطمأنينة؛ وعلى كل حال، فإن هذين المفهومين - التسليم والسلام - يلتقيان في المنظور الإسلامي، وعندما يكون الدين مؤسسًا على عقيدة راسخة تمامًا في توحيد الله، فإنه ينمي فكرة تحقيق عالم متوافق، تحكمه شريعة فريدة عالَمية، ثابتة بلا تغيير، ومن الناحية التاريخية، فلقد أنجب هذا الدين «أمة»، وأوجد أسلوبًا للحياة والعمل والتفكير، وفي كلمة واحدة، فقد أنتج حضارة.

خطبة الجمعة
منبر الوعظ وأداة التوجيه التربوي

عمرو علي

تُعَدّ خطبةُ الجمعة من أبرز الشعائر التعبدية التي اختصَّ اللّه -تعالى- بها الأمة الإسلامية؛ فهي منبر الوعظ والبيان، ووسيلة توجيه أسبوعية تلامس واقع المسلمين وتُجَدِّد صلتهم بالقرآن والسُّنَّة، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ٩). ومن هنا اكتسبت الخطبة مكانتها الشرعية والتربوية؛ إذ صارت مدرسةً تربط الناس بالهداية الربانية، وتوجّه سلوكهم، وتؤثر في وعيهم الجمعي، ولقد كان منبر النبي -ﷺ- محطةً جامعةً يبثّ منها الهدي والوعظ، ويعالج قضايا المجتمع، ويُثبِّت المبادئ، ويوحّد الصفوف، وبقي المنبر عبر العصور صوتًا للموعظة والإصلاح، ووسيلةً لإحياء روح الإيمان، وترسيخ القيم، ومعالجة المشكلات الحياتية التي يواجهها الناس.

- الخطيب الصادق أعمق تأثيرًا من كثير من الوسائل الأخرى فهو كالمصباح الذي يهتدي به الناس والغيث الذي ينفع حيثما نزل

- جمهور الجمعة متنوع يشمل المتعلم والأمي، والشاب والشيخ، والغني والفقير، والخطبة التي تُلقى بلغة معقدة أو طرح فلسفي عميق لا تؤتي ثمارها

أولاً: فضل يوم الجمعة ومكانته

يوم الجمعة منحة الله لأُمَّة الإسلام، وهو ميدان فسيح للتنافس في الأعمال الصالحة، وكما أن الله -سبحانه- قد اصطفى من عباده ما شاء من أنبياءَ ورسلٍ وعبادٍ صالحين، فإنه اصطفى يومًا ذكره في كتابه، وسُمِّيت سورة باسمه دون غيره من الأيام؛ فهو أشرفها وأكرمها؛ قال -ﷺ- عنه: «خيرُ يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة»، وقال -ﷺ-: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة؛ فأكْثِروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ، قال: قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرَض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ - يقولون: بَلِيت - فقال: إن الله عزوجل حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء»، وفيه ساعة لا تُرَدُّ فيها دعوة؛ وهي آخر ساعة بعد العصر؛ قال -ﷺ-: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعةً، لا يوجد فيها عبدٌ مسلم يسأل الله -عز وجل- شيئًا إلا آتاه إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد صلاة العصر»، والنصوص كثيرة في ذلك.

ثانيًا: مكانة خطبة الجمعة وأهميتها

تعدّ خطبة الجمعة إطارًا تربويا يقوم على الوعظ والتذكير، امتثالًا لقوله -تعالى-: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾، وقد اعتنى النبي -ﷺ- بالخطبة وجعلها وسيلة لتعليم الناس، ومن أهمّ المقاصد العظيمة التي شرعت الخطبة لها تذكير النّاس بربّهم، وتعليمهم أمر دينهم، والتحذير من السلبيات التي قد يقع فيها نتيجة الجهل أو الخطأ، وإنّ تأمل بعض هذه المقاصد العظيمة، لشعيرة الجمعة كفيل بأن يجعلنا ندرك تلك المكانة التي تبوأتها

مواصفات خطيب الجمعة

قال الشيخ عبدالعزيز ابن باز -رحمه الله-: من أهم شروط الخطيب أن يكون ذا علم، وبصيرة، وينبغي أن يُولى أهل العدل، وأهل الخير والفضل، والواجب على المسؤولين أن يتحَروا في ذلك، وأن يجتهدوا في تولية الأخيار، وألا يولّوا على أمور المسلمين لا في الإمامة، ولا في الأذان، ولا في الخطابة؛ إلا من عرف بالخير والاستقامة والأهلية للخطابة؛ لأنه ذو علم وبصيرة وصالح للإمامة.

• الشيخ ابن باز: الواجب على المسؤولين أن يجتهدوا في تولية الأخيار وألا يولوا على أمور المسلمين لا في الإمامة ولا في الأذان ولا في الخطابة إلا من عرف بالخير والاستقامة والأهلية للخطابة

• الشيخ ابن عثيمين: من أهم شروط خطبة الجمعة أن تكون مؤثّرة وأن تُليّن القلوب وتوقظها وتهدي الخلق إلى الحق وينبغي أن يكون الخطيب إلقاؤه للخطبة مناسبًا للموضوع

• تمثّل خطبة الجمعة منبرًا ربانيا متجددًا، يجمع بين العبادة والهداية، ويقوم بدور محوري في بناء وعي الأمة وتوجيهها

من بين سائر العبادات، ويمكن إيجاز أهم الأمور التي اكتسبت بها خطبة الجمعة مكانتها وأهميتها في الآتي:

١. الأمر بالسعي إليها

جاء الأمر بالسعي إلى الجمعة والإنصات للخطيب، والنهي عن اللغو أثناء الخطبة، والدعوة إلى التبكير وبيان فضله؛ وكل ذلك يدل على مكانة خطبة الجمعة في الإسلام. ومن حكم التبكير ألا يفوت المسلم سماع شيء من الذكر؛ إذ يحضرها عامة المسلمين استجابة لقوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، كما حذّر النبي -ﷺ- من التهاون منها بقوله: «من ترك ثلاث جُمع تهاونًا طبع الله على قلبه».

٢. من أهم وسائل الدعوة وصياغة الوعي

تُعدّ خطبة الجمعة من أبرز وسائل الدعوة العامة وبناء الوعي؛ إذ تخاطب جمهورًا واسعًا يجتمع فيه العالم والأمي، والشاب والشيخ، والغني والفقير، وهي مجال مؤثر لعرض القضايا الدينية والاجتماعية والتربوية بانتظام؛ بما يسهم في الإصلاح وتوجيه المجتمع إذا أحسن إعدادها وتوظيفها.

٣. الاستعداد المبكّر لحضورها

الجمعة يوم عظيم، ورغب الشرع في الإعداد له مبكرًا؛ لما يترتب على الاستماع والإنصات من الأجر العظيم، كما في قوله -ﷺ-: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت، غُفر له ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام»، وفي الحديث بيان فضل التهيؤ لصلاة الجمعة، والإتيان على أكمل هيئة، والإنصات للخطيب لتحقيق ثمرة الخطبة والعبادة.

٤. استعداد الحضور لسماع الذكر

يمتاز يوم الجمعة بأن الناس يتهيؤون لسماع الخطبة بالاغتسال والتطيب ولبس أحسن الثياب، فيقبلون على المسجد بقلوب حاضرة؛ ما يخلق جوًّا خاشعًا يساعد على تلقي الموعظة وانتفاع السامعين بها، ويشعر الجميع أنهم في عبادة جامعة.

٥. تكرارها أسبوعيًا

إن تكرار خطبة الجمعة كل أسبوع يجعلها منهجًا تربويا مستمرا، تُبنى عبره معارف المسلمين وتُعالَج شؤون حياتهم؛ فهي من أهم أدوات التعليم والدعوة، أمر الله بالسعي إليها؛ لأنها تذكير دائم بالله، وهداية لما يصلح أحوال الناس ويعينهم على عبادة ربهم واستقامة حياتهم.

٦. الأمر بالإنصات حال الخطبة

أكّد النبي -ﷺ- على أهمية خطبة الجمعة بالأمر بالإنصات والنهي عن العبث والكلام والانشغال بالدنيا، حتى نهى عن مسّ الحصى لما فيه من إضاعة الأجر، فقال -ﷺ-: «من مس الحصى فقد لغا»، وفي ذلك بيان أن تمام انتفاع المسلم بالخطبة إنما يكون بحسن الاستماع، والترفع عن كل ما يشغل القلب أو يقطع التدبر.

ثالثًا: مقومات خطبة الجمعة وخصائصها

بيّن ابن القيم - رحمه الله- أن خطب النبي -ﷺ- كانت تدور حول حمد الله والثناء عليه، وتعليم أصول الإسلام، وذِكر الجنة والنار، والدعوة إلى التقوى، وبيان أسباب رضوان الله وسخطه؛ وهو منهج جامع يجمع بين العقيدة والتربية والإصلاح. ومن أهم مقومات الخطبة المؤثرة:

- **مراعاة مقتضى الحال**

ينبغي للخطيب أن يلاحظ أحوال السامعين واحتياجاتهم، كما كان النبي -ﷺ- يراعي حال المخاطَبين؛ فاستجاب لحاجة الناس إلى الإذخر فقال: «إلا الإذخر»، وأمر بكتابة

منبر رباني متجدد

خلاصة القول: تمثّل خطبة الجمعة منبرًا ربانيًا متجددًا، يجمع بين العبادة والهداية، ويقوم بدور محوري في بناء وعي الأمة وتوجيهها، وقد كشف المقال عن المكانة الشرعية الرفيعة التي تبوأتها الخطبة منذ عهد النبوة، كما أظهر أهميتها التربوية والاجتماعية والفكرية، وقدرتها على معالجة واقع الناس وتثبيت القيم، وأثبت أن واقع الخطابة اليوم يبرز تفاوتًا ملحوظًا في مستوى الخطباء وفاعلية الخطبة؛ ما يستدعي تطوير الأداء الخطابي، وتأهيل الخطباء علميا ومهاريا، وربط المنبر بقضايا المجتمع واحتياجاته. ولما كانت الخطبة رسالة عظيمة، فإن الارتقاء بها ضرورة شرعية ومجتمعية، وإذا نجح الخطيب في الجمع بين العلم والإخلاص، وحسن الإعداد وفقه الواقع، أمكن للمنبر أن يستعيد دوره في الإصلاح والتربية، وأن يسهم في بناء وعي إسلامي راشد يحفظ للأمة هويتها ويسدد مسيرتها.

الخطبة لأبي شاه عندما طلبها. ومن هنا يجب اختيار موضوعات تمسّ واقع الناس وتعالج مشكلاتهم، بعيدًا عن الموضوعات التي لا تسهم في إصلاح المجتمع.

● التفاعل الصادق أثناء الخطابة

الإخلاص والتفاعل الوجداني من أهم ما يجذب السامعين ويؤثر في قلوبهم. وقد كان النبي -ﷺ- إذا خطب في ذكر الآخرة احمرّ وجهه وارتفع صوته، كأنه منذر جيش، كما ورد في صحيح مسلم؛ فصدق المشاعر ونبرة التحذير والإشفاق يعمّق أثر الخطبة ويقوّي رسالتها.

● الوضوح وحسن البيان

يتطلّب نجاح الخطبة وضوح الألفاظ وسهولة العبارات، ومراعاة تفاوت مستويات الحاضرين، مع استخدام وسائل الإيضاح كالتكرار، والتأني، وحسن النطق؛ فالبيان الجيد يضمن وصول المعنى إلى الجميع، ويزيد من نفع الخطبة وتأثيرها.

● تنبيه العقول وإثارة الاهتمام

من الوسائل المؤثرة في الخطابة استخدام الأسئلة التي توقظ الذهن وتشد الانتباه، كما فعل النبي -ﷺ- عندما سأل قريشًا: «ما تَرَون أنّي فاعلٌ بكم؟»، فمثل هذه الأساليب تهيئ النفوس للتلقي وتزيد من فاعلية الخطاب.

رابعًا: أهمية وجود الخطيب المؤهّل

تقوم الخطابة على إعداد علمي وذهني يسبق صعود المنبر؛ إذ يحتاج الخطيب إلى مطالعةٍ وبحثٍ وتفكير، وترتيب عناصر خطبته وتركيز رسالتها، فإذا وُجد الخطيب المؤهَّل كان أقدر على فهم حاجات مجتمعه ومعالجة مشكلاته، وكانت خطبته أبلغ أثرًا في الإصلاح وتوجيه الرأي العام في إطار القرآن والسنة، وبمنهج يجمع التأصيل الشرعي وفقه الواقع، ومن أهم مقومات الخطيب المؤهَّل ما يلي:

● **حمل همّ الدعوة:** الخطيب المؤثر هو من يحمل همّ دينه وهمّ إصلاح الناس؛ فينطلق بكلمة صادقة تُوقظ القلوب وتزيل دوافع الشر، وتربي النفوس على خشية الله، والالتزام بشرعه، واستشعار مسؤولية الأمة.

● **الفصاحة وحسن الإلقاء:** من صفات الخطيب الجيد فصاحة اللسان وسلامة مخارج الحروف، مع أداء متوازن يجمع القوة واللين، ويتجنب الرتابة والسجع المتكلّف؛ لأن ذلك يصرف السامع عن المعنى ويضعف أثر الخطبة.

● **القناعة بما يدعو إليه:** لا يؤثر الخطيب في الناس ما لم يكن مؤمنًا برسالته؛ فالقناعة الراسخة تمنحه قدرة على الإقناع والدفاع عن الحق بثبات ووضوح.

● **الوعي بقضايا المجتمع:** الخطيب الواعي يحمِل هموم مجتمعه وقضايا أمته، ويتفاعل معها دعوةً إلى الحق، وتدعيمًا للخير، وتحذيرًا من الشر، ليكون عنصرًا فاعلًا في توجيه المجتمع وإصلاحه.

● **الابتعاد عن التقليد:** من تمام شخصيته أن يتجنب تقليد الآخرين وتقمص أساليبهم؛ فإن التقليد يضعف حضور الخطيب ويسلبه صدق التأثير.

من أهم شروط خطبة الجمعة

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-: أهم الشروط في خطبة الجمعة أن تكون مؤثّرة، وأن تُليّن القلوب وتوقظها وتهدي الخلق إلى الحق؛ وينبغي أن يكون إلقاؤه للخطبة مناسبًا للموضوع، فإذا كان الموضوع موضوع وعظ وتذكير وتخويف فليكُن بأسلوب قوي مؤثّر كما كان يفعل النبي -عليه الصلاة والسلام-، وينبغي أيضًا أن يختار الخطيب من المواضيع ما يكون الناس إليه أحْوج وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأوقات.

● خطبة الجمعة مسؤولية عظيمة لما لها من أثر كبير في بناء وعي الأمة وتوجيهها والخطيب الواعي هو الذي يجمع بين العلم والحكمة ومراعاة حال الناس

● تُعدّ خطبة الجمعة من أبرز وسائل الدعوة العامة وبناء الوعي إذ تخاطب جمهورًا واسعًا يجتمع فيه العالم والأمي والشاب والشيخ والغني والفقير

● كان منبر النبي ﷺ محطةً جامعةً يبثّ منها الهدي والوعظ ويعالج قضايا المجتمع ويُثبِّت المبادئ ويوحّد الصفوف

● **استلهام مقاصد الشريعة:** الخطيب المتبصّر بمقاصد الشريعة يستمد منها رؤيةً للإصلاح الاجتماعي، وينشر معناها بين الناس، مقتديًا بقوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.

● **ربط الناس بقضايا الأمة:** من واجبه أن يربط المصلين بقضايا المسلمين ربطًا إيمانيا، ويعينهم على فهم الأحداث في ضوء القرآن والسنة، خصوصًا من قلّ تفاعلهم مع قضايا الأمة أو ضعف إحساسهم بها.

خامسًا: من أسباب ضعف الخطبة

رغم الدور المهم لخطبة الجمعة، إلا أن الواقع يشهد تفاوتًا في مستوى الخطباء والخطب المعروضة، ومن أهم أسباب ضعف الخطبة ونفور الناس من الخطباء ما يلي:

(١) غياب الإعداد الجيّد

كثير من الخطباء لا يُعدّون خطبهم إلا في ليلة الجمعة أو صبيحتها، فيكون الجهد العلمي المبذول يسيرًا، والنتيجة ضعيفة الفائدة؛ ويرجع ذلك غالبًا إلى غياب التدريب المنهجي في الكليات الشرعية؛ إذ يتخرج الطالب بعد سنوات طويلة من الدراسة دون ممارسة فعلية للخطابة، فيُفاجأ بها بعد تعيينه إمامًا، فيتعلم بالتجربة، ويندر أن يبرع دون اجتهاد ذاتي وممارسة طويلة.

(٢) ضعف الوعي بأثر الخطبة

يدرك الخطباء قيمة منبر الجمعة، لكن كثيرًا منهم لا يقدّر حجم تأثيره الواسع؛ فقد أظهرت دراسة في إحدى الدول الإسلامية أن ٧٨٪ من المصلين يتأثرون بما يسمعون، وأن ٧١٪ يلتزمون بتوجيهات الخطيب، ما يدل على مكانة الخطبة وخطورة التفريط في رسالتها.

(٣) انفصال الخطبة عن واقع الأمة

كثير من الخطب مكررة وجامدة، لا تعالج قضايا الساعة ولا تنزّل النصوص الشرعية على واقع الناس. وحين تنتشر البلبلة حول قضية ما ينتظر الناس كلمة الحق من الخطيب، فإذا به يتحدّث فيما لا يمسّ حاجاتهم، فينقطع أثر الخطبة عن مقصدها الشرعي في بيان الحق، امتثالًا لقوله -تعالى-: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.

(٤) الإطالة المفرطة

من المنفّرات أن يطيل بعض الخطباء الخطبة حتى ترهق المصلين، ولاسيما في الحرّ والمساجد الضيقة، مع تكرار المعاني والاستطراد غير المفيد، حتى يمكن تلخيص خطبة طويلة في دقائق معدودة؛ وهذا يدفع بعض المصلين إلى تأخير حضورهم والاكتفاء بالخطبة الثانية.

● من أهمّ المقاصد العظيمة التي شرعت الخطبة لها تذكير النّاس بربّهم وتعليمهم أمر دينهم والتحذير من السلبيات التي قد يقع فيها نتيجة الجهل أو الخطأ

(٥) ضعف الأسلوب

بعض الخطباء لا يراعون في خطبهم أو كلماتهم قواعد اللغة العربية؛ فيقعون في أخطاء نحوية، أو يقدمون كلامًا بلا قيمة علمية أو أدبية، ومن الواجب تنمية المهارات اللغوية، واعتماد العربية الفصحى الميسّرة، وتطعيم الخطبة بالشواهد والشعر والحكم التي تزين مضمونها وترفع مستوى تأثيرها.

(٦) الارتجال بلا كفاءة

الخطابة الارتجالية تحتاج إلى موهبة وخبرة وثقافة واسعة، وإلا تحولت إلى أفكار متنافرة وتكرار بلا فائدة، ولا ينتقص من الخطيب أن يحمل ورقة ينتظم بها طرحه؛ فالخطبة مسؤولية وليست مجالًا للتجربة.

(٧) عدم مراعاة تنوع الجمهور

جمهور الجمعة متنوع يشمل المتعلم والأمي، والشاب والشيخ، والغني والفقير، والخطبة التي تُلقى بلغة معقدة أو طرح فلسفي عميق قد لا يصل أثرها إلى معظم المستمعين، والخطيب البارع هو من يعرف جمهوره ويختار مستوى الخطاب المناسب له.

أهم الخلاصات

- خطبة الجمعة شعيرة مركزية في الإسلام تجمع بين العبادة والتعليم والتوجيه، ولها تأثير واسع يتجاوز حدود الوعظ الفردي إلى صياغة الوعي الجمعي.
- الخطيب المؤهّل هو الركن الأساس في نجاح الخطبة؛ فالعلم والبصيرة والإخلاص والقدرة على إيصال المعاني عوامل لا غنى عنها لنجاح الخطاب الديني.
- تكرار الخطبة أسبوعيًا يمنحها قوة تربوية متراكمة تجعلها أداة مهمة في إصلاح المجتمع وتعزيز القيم الإسلامية.
- الخطبة المؤثرة تتسم بالوضوح، ومراعاة فقه الواقع، ومعالجة حاجات الناس، وتجنّب الموضوعات المعزولة عن قضاياهم اليومية.
- هناك جوانب ضعف شائعة مثل: قلة الإعداد، وضعف الوعي بآثار الخطبة، وعدم ربط الخطاب بقضايا الأمة، والإطالة، والأخطاء اللغوية، والارتجال غير المدروس.
- جمهور الجمعة جمهور متنوع، يفرض على الخطيب تبسيط الخطاب، وتقديمه بلغة واضحة تراعي مستويات الفهم المختلفة.
- المنبر أحد أهم أدوات الدعوة العامة وأكثرها قدرة على التأثير المباشر، وهو مسؤولية عظيمة ينبغي اختيار أهلها بعناية كما نصت أقوال العلماء.

• يجب أن تكون وسائل فض النزاع مرنة وتُبنى على فهم الأطراف المختلفة وهذا ما بينه القرآن الكريم من اختلاف طبائع البشر الذي يستدعي تفاوت أساليب التعامل معهم

وسائل فضّ المنازعات في ضوء الهدي القرآني

فرح خالد العازمي

(١-٢)

يتجلى في النهج القرآني تأكيده الدائم على الإصلاح وإقامة العدل في العلاقات الإنسانية، وهو ما يسوغ اعتماد مختلف وسائل فضّ المنازعات، سواء الطرائق التقليدية كاللجوء إلى القضاء، أو البدائل الحديثة كالتحكيم المؤسسي والحر، والوساطة، والمفاوضات المباشرة، وقد أمر الله بالحكم بالقسط في قوله -تعالى-: ﴿فَإِن جاءوكَ فَاحكُم بَينَهُم أَو أَعرِض عَنهُم، وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ المُقسِطينَ﴾ (المائدة: ٤٢)، مبينًا أن العدل أساس كل حلٍّ للنزاعات.

كما يرشد القرآن إلى منهج عملي للإصلاح حين تُخشى الفُرقة بين المتخاصمين، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِن خِفتُم شِقاقَ بَينِهِما فَابعَثوا حَكَمًا مِن أَهلِهِ وَحَكَمًا مِن أَهلِها﴾ (النساء: ٣٥)؛ إذ يجعل اختيار الحكمين من أهل الخبرة طريقًا لإعادة الوفاق، ثم يؤكد وحدة الأمة ووجوب رأب الصدع بين أفرادها في قوله: ﴿إِنَّمَا المُؤمِنونَ إِخوَةٌ فَأَصلِحوا بَينَ أَخَوَيكُم﴾ (الحجرات: ١٠)، ويُجمل القرآن هذا المنهج بقوله -تعالى-: ﴿وَالصُّلحُ خَيرٌ﴾ (النساء: ١٢٨)، ليقرر أن الصلح هو خيار الخير والمصلحة العامة للمجتمعات، ومن هنا يظهر القرآن الكريم منظومة متكاملة لتنظيم حياة الإنسان، تخاطب العقل والوجدان معًا، كما قال -سبحانه-: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ﴾ (يونس:٥٧)، والقرآن في كل ذلك خطابٌ واضح الدلالة، لا غموض فيه ولا تعقيد، قال -تعالى-: ﴿هـذا بَيانٌ لِلنّاسِ وَهُدًى وَمَوعِظَةٌ لِلمُتَّقينَ﴾ (آل عمران:١٣٨)، ليظلّ نور الهداية حاضرًا وقادرًا على توجيه الإنسان في كل ما يعرض له من خلافات وقضايا.

الإصلاح والعدل في العلاقات الإنسانية

ويتجلى في النهج القرآني دعوته الثابتة إلى الإصلاح والعدل في العلاقات الإنسانية، مما يسوغ وجود ما يُعرف اليوم بوسائل فض المنازعات، سواء كان ذلك بالوسائل التقليدية كاللجوء إلى القضاء، أو عبر البدائل كالمحاكمات التحكيمية، مؤسسية كانت أم حرة، أو الوساطة، أو حتى المفاوضات والحوار المباشر، وفي قوله -تعالى-: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢)، يبين الله ضرورة الحكم بالقسط والعدل في حل الخلافات، وعند قوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥)، يحثّ على اختيار من له الدراية بالشأن لإرساء الإصلاح بين الأطراف؛ كما يأمرنا القرآن بالإصلاح بين الناس في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠).

المصلحة العليا للجماعات

وفي سورة النساء ذكر -جل جلاله-: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: ١٢٨)، ليذكرنا بأن السعي إلى الصلح وإرساء السلام هو المصلحة العليا للجماعات، وهنا لا يسعنا إلا الإقرار بأن القرآن الكريم منظومة متكاملة ترسم ملامح الحياة وتنظم شؤون الأفراد والمجتمعات، مخاطبًا بذلك العقل والوجدان معًا، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٥٧). كما أن القرآن الكريم ليس نصًا مبهمًا أو مشفرًا يتطلب وسيطًا لفك رموزه؛ بل هو خطاب بيّن واضح الدلالة، لقوله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٨).

مرجعية القرآن الكريم

في ضوء قوله -تعالى-: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، تنطلق فكرة هذا المقال، لتؤكد مرجعية القرآن الكريم، الحاكمة في فهم النفس البشرية وإدارة الخلافات، ويفترض هذا المقال تصوّرًا تأمليا منهجيا: ماذا لو اتخذنا القرآن الكريم بوصلةً حقيقية في حياتنا العملية، ولا سيما في مجال فضّ المنازعات؟ لا باعتباره نصا تعبّديا فحسب، بل باعتباره دليلًا سلوكيا وتشريعيا متكاملًا، يقدّم نماذج عملية لفهم النفس البشرية، وإدارة الخلاف، وبناء التصورات العادلة عند التحكيم أو التفاوض، أو الوساطة.

مرحلتان محوريتان

وانطلاقًا من هذه الفرضية، فهناك مرحلتين محوريتين في مسار دراسة الوسائل المتبعة في فض المنازعات، المرحلة الأولى: وهي ما قبل بداية النزاع، أي مرحلة التعاقد واختيار الوسيلة الملائمة لحلّ النزاع،ويبين المنهج القرآني فهم النفوس ودوافعها ويوجّه المتعاقدين لاختيار الوسيلة الأنسب لحلّ النزاع المحتمل. اما المرحلة الثانية: وهي ما بعد بداية النزاع، أي مرحلة إدارة الخلاف وجدلية الطرح والحوار، وفيها يُسلط الضوء على «أُسلوب المجادلة في القرآن».

إن استحضار هذه المبادئ في دراستنا للقانون يمنحنا بعدًا أعمق في فهم طبيعة النزاعات وآليات حلها، بل ويجعلنا ندرك أن القرآن الكريم لم يكن مجرد كتاب تشريعات، بل هو منهج إصلاح للمجتمعات؛ حيث لا تقتصر أحكامه على العقوبات وإقامة العدل فحسب، وإنما تمتد لتشمل آداب التفاوض، وأسس المصالحة، ومبادئ التحكيم، وأهمية وضع آليات واضحة لفض المنازعات قبل حدوثه.

أولاً: كيف تختار الوسيلة الأنسب لحل النزاع؟

في المرحلة السابقة لوقوع النزاع، عند إبرام العقد أو الاتفاق، يُعد تحديد وسيلة فض النزاع عنصرًا استباقيا في إدارة العلاقات، يجب أن يُبنى على فهم دقيق للطبيعة الخاصة للعلاقة وطرفها الآخر، كما أرشدنا القرآن، ليس كل نزاع يُحلّ بالتحكيم، والوساطة قد تفشل في بعض الحالات، بينما قد يكون القضاء هو الحل الأمثل في مواقف أخرى؛ لذلك، يجب أن تكون وسائل فض النزاع مرنة وتُبنى على فهم الأطراف المختلفة، وهذه القاعدة تجد جذورها في القرآن الكريم؛ حيث بيّن الله اختلاف طبائع البشر؛ ما يستدعي تفاوت أساليب التعامل معهم.

فهم أصناف البشر في القرآن وأثره في اختيار وسيلة حلّ النزاع

عند التمعّن في القرآن، نجد أن البشر ينقسمون إلى ثلاث فئات في تعاملهم مع الحقيقة، الأولى: ترفضها تمامًا، الثانية:

مترددة وقابلة للحوار والإقناع، والثالثة: تتلاعب بها لتحقيق مآربها، هذا التصنيف لم يكن مجرد تحليل بشري، بل هو توجيه قرآني وضع إطارًا للتعامل مع النزاعات والصراعات الفكرية.

أولًا: الصنف المعاند

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:٦)، هذه الآية تشير إلى فئة من الناس الذين رفضوا الحقيقة تمامًا، وأغلقوا قلوبهم على الإنكار، في النزاعات، وهؤلاء الأشخاص يرفضون أي وسيلة بديلة للحل، ويتمسكون بمواقفهم بعناد؛ فلا جدوى من محاولة إقناعهم بالحوار أو التفاوض؛ لأن هدفهم ليس الوصول إلى الحق، بل التمسك برأيهم؛ ما يجعل اللجوء إلى القضاء هو الخيار الأمثل.

ثانيًا: الصنف المتردّد

هذا الصنف يشمل الأشخاص الذين قد ينكرون الحق في البداية، ولكنهم لا يزالون يملكون قابلية للتفكير والنقاش. يقول الله -تعالى-: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فبالرغم من شكوكهم، اختاروا الكفر، وجعلوا الأدلة غير مؤثرة عليهم، هذا التحدي ليس لإثبات عجزهم، بل ليظهر أن إنكارهم ليس بسبب نقص في الأدلة، بل نتيجة استكبار، مثل هؤلاء الأشخاص الذين لا يرفضون الحلول البديلة نهائيا، يمكن مخاطبتهم بعقلانية ومنطق قانوني، مع تقديم حلول أكثر فاعلية وأقل تكلفة من اللجوء للقضاء.

ثالثًا: الصنف المراوغ

وبين الوضوح التام في النوايا والرفض القاطع للحقيقة، تبرز فئة غامضة لا تُدرَك مقاصدها بسهولة، وهنا يوجّهنا القرآن الكريم إلى منهج متزن يجمع بين الحذر والاستعداد، دون أن يغلق باب السلم إن لاحت بوادره، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٥٨)، إلى قوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦١)؛ ما يؤكد أن حسن اختيار وسيلة حل النزاع لا ينفك عن فقه الواقع وفقه النفوس معًا.

بهذا المنظور، يتحوّل اختيار الوسيلة من مجرد بند شكلي في العقد إلى قرار استراتيجي مبني على فهم دقيق للنفس البشرية، وهو ما يدعو إليه القرآن ضمنيا من خلال إعادة الاعتبار للعقل، وتقديم النماذج التحليلية لسلوك الأفراد في مواقف الحق والاختلاف، ومن هنا، يمكننا الانتقال إلى دراسة أسلوب المجادلة في القرآن الكريم وكيفية تطبيقه في سياقات حل المنازعات.

- **يتجلى في النهج القرآني دعوته الثابتة إلى الإصلاح والعدل في العلاقات الإنسانية، مما يسوغ وجود ما يُعرف اليوم بوسائل فض المنازعات**

- **السعي إلى الصلح وإرساء السلام هو المصلحة العليا للجماعات، وهنا لا يسعنا إلا الإقرار بأن القرآن الكريم منظومة متكاملة ترسم ملامح الحياة وتنظم شؤون الأفراد والمجتمعات**

- **الأشخاص الذين لا يرفضون الحلول البديلة نهائيا، يمكن مخاطبتهم بعقلانية ومنطق قانوني، مع تقديم حلول أكثر فاعلية وأقل تكلفة من اللجوء للقضاء**

الوسطية والاعتدال وأثرهما في بناء الأمة

القسم العلمي بالفرقان

• أهل السنة وسط في أمور الدنيا فلا يغالون في طلبها وتحصيلها ولا ينقطعون عن بذل أسباب الرزق الحلال والعيش الهنيء والتمتع بما أباح الله من غير إسراف ولا مَخيلة

إنّ المتأمِّل في شريعة الإسلام يجد عناية بالغة بوحدة الكلمة، وجمع القلوب، ولمِّ الشمل، والتحذير الشديد من أسباب التنازع والفرقة؛ إذ لا تستقيم أحوال الأمة، ولا يعلو شأنها، ولا يتحقق أمنها واستقرارها إلا باجتماعها على الحق، وتماسك أفرادها، وتلاحم صفوفها، وقد جعل الإسلام وحدة الكلمة من أعظم مقومات قوّة الأمة وبقائها؛ إذ بها تتحقق مصالح الدين والدنيا، ويتعزز التعاون والتناصر، وتُغلق الثغور أمام الأعداء، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران:١٠٣)، وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠)، ولن يتحقق النصر والتمكين إلا حين تتوحد الأمة على منهج الكتاب والسنة، وتقف صفاً واحداً في مواجهة الانحراف الفكري والغلو الفكري والسلوكي.

والمتأمل في حال أمَّة الإسلام يجد أنها أمة لها سِمَتُها البارزة بين الأمم، فهي الأمَّة الوسط، ومنهجها منهج وسطي، أثنى الله -تعالى- عليها في كتابه فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ (البقرة:١٤٣)، فهي الأمة الوسط بكل معاني الكلمة؛ وشريعتها الربانية تتسم بأنها شريعة السماحة ورفع الحرج؛ وموافقة الفطر السليمة، فهي وسط في كل القضايا الدينية، والدنيوية، والعبادات، والمعاملات.

الفرقة الناجية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة؛ يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فِرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم».

ويقول الإمام الشاطبي -رحمه الله-: «إن الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها على الطريق الوسط العدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرتَ إلى كُلِّيَّةٍ شرعية فتأمَّلها تجدها حاملةً على التوسط والاعتدال، ورأيتَ التوسطَ فيها لائحًا، ومسلكَ الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يُرجع إليه، والمعقل الذي يُلجأ إليه».

ويقول العز بن عبد السلام -رحمه الله-: «وعلى الجملة فالأولى بالمرء ألا يأتي من أقواله وأعماله إلا بما فيه جلبُ مصلحة أو درءُ مفسدة، مع الاعتقاد المتوسط بين الغلو والتقصير».

سُنَّة الله في خلقه

الوسطية التي جاء بها الإسلام إنما جاءت لتحقيق مبدأ التوازن الذي تقوم عليه سُنَّة الله في خلقه، وفق نظام رباني، ومشيئة وحكمة إلهية، وتقدير مسبق، وثوابتَ وسننٍ لا تبديل لها، فإذا فَقَدتْ ذلك مالتْ مع الأهواء، وأصبحتْ إما تفريطاً أو إفراطاً، فما من شعيرة من شعائر الدين إلا وهي محفوفة بالوسطية فلا غلو فيها، ولا تفريط. والله -جل وعلا- لم يحمل الناس على الأحكام جملة واحدة، إنما كان مبدؤه التدرج في التحريم، كما في قضية الأصنام التي كانت حول الكعبة، وكذلك الخمر التي جاء الأمر بتحريمها تدريجياً، تهيئة وترويضاً للنفوس على تقبل أوامر الله، واستجابة لأحكام الدين، وكان -ﷺ- يحرص على التيسير، ويحث أصحابه عليه كما في قوله: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»، وقوله -ﷺ-: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»، وورد عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ -ﷺ- بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا».

من مظاهر الوسطية

إن الوسطية التي جاء بها الإسلام لها مظاهرها المتعددة؛ وتشمل شرائع الدين كلها، وفرائضه، وأحكامه، ومن ذلك:

(١) الفرقة الناجية أهل التوسط والاعتدال

تمييز النبي -ﷺ- للفرقة الناجية أن النبي -ﷺ- ميز الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة بالوسطية بين جميع فرق المسلمين، فقال عنهم: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»، فهم العُدُول الخيار، وأهل التوسط والاعتدال عقيدةً وعلماً وعملاً وأخلاقاً، وهم وسط بين أهل الغلو والتقصير، والتفريط والإفراط، قال ابن القيم -رحمه الله-: «فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النمط الأوسط الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين».

(٢) وسط في الأسماء والصفات

هم وسط في الأسماء والصفات، ووسط في باب الأسماء والصفات، فيثبتون ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله -ﷺ-، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، لا يتجاوزون القرآن والحديث، ووسطية أهل السنّة في باب الأسماء والصفات هي جوهر عقيدتهم وميزان منهجهم، تميزوا بها عن فرق الغلو والتقصير؛ فأثبتوا صفات الله إثباتًا بلا تمثيل، ونزهوه تنزيهًا بلا تعطيل، فجمعوا بين الحقين معًا، وساروا على سبيل السلف الصالح، محافظين على نقاء التوحيد وصفاء الاعتقاد، وهذا المنهج هو الطريق الآمن لفهم نصوص الوحي، وتحقيق العبودية الخالصة لله -تعالى-.

(٣) وسط في محبة النبي -ﷺ-

يمثّل أهلُ السُّنّة والجماعة المنهجَ القويم في محبة النبي -ﷺ-؛ إذ يلتزمون المحبة الشرعية التي ترفع قدره وتُعظِّم مكانته دون غلوّ يُفضي إلى الابتداع، ولا جفاء يُنقص من حقه أو يقدح في توقيره -ﷺ-؛ فهم يؤمنون بأن محبته -ﷺ- أصلٌ من أصول الإيمان، لقوله -ﷺ-: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وبذلك تحقّق منهجية أهل السنة الوسطية والاعتدال في محبته -ﷺ-؛ محبةً تُعلي مكانته، وتلتزم حدّ الشرع، وتبني في النفوس توازنًا يليق بسيّد الخلق، جامعًا بين التعظيم المشروع والاتباع الحقّ.

(٤) وسط في الإيمان والعمل

أهل السنة وسط في باب الإيمان والعمل بين الخوارج الذين يكفرون أهل الكبائر، وبين المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب، ووسطية أهل السنة في الإيمان والعمل ليست مجرد موقف فكري، بل هي منهج حياة قائم على العدل والاعتدال، يجمع بين النص والعقل، وبين العلم والعمل، وبين الرجاء والخوف، ويجنب الأمة مزالق التكفير والغلوّ والتسيّب والتفريط؛ وبذلك يتحقق اتّباع الهدي النبوي الخالص الذي هو سبيل النجاة وميزان الحق عبر العصور.

(٥) وسط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يُجسِّد أهلُ السُّنّة والجماعة المنهجَ الشرعيّ المتوازن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ ينطلقون من فهم راسخ لمقاصد الشريعة وضوابطها، فيجمعون بين القيام بالواجب، وتحقيق المصالح، ودرء المفاسد، دون إفراط يُفضي إلى الفوضى، ولا تفريط يُميت شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، فهم يؤمنون بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركنٌ من أركان صلاح الأمة، وسبب لثباتها ورفعتها، لقوله -تعالى-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، غير أنهم يمارسون هذه الشعيرة ضمن منهج يراعي العلم، والحكمة، والرفق، ويسترشد بقول النبي -ﷺ-: «مَن رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»، ويتميّز منهجهم بأنهم لا يجعلون النهي عن المنكر ذريعةً للخروج على الأئمة، ولا سببًا لزعزعة الأمن أو إثارة الفتن، بل يلتزمون ميزان الشرع الذي يقدّر المآلات، ويوازن بين المصالح والمفاسد، ويجعل الإصلاح غايةً، والفتنةَ خطًا أحمر.

(٦) وسط في أداء العبادات

وهم وسط في أداء العبادات الظاهرة، كالصلاة والصيام وسائر العبادات، فلا ينقطعون بها عن الدنيا والسعي في تحصيل ما ينفعهم مما أباح الله، ولا ينشغلون بالدنيا عنها، بل يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويكملونه بالنوافل على حسب القدرة والاستطاعة، متبعين في ذلك نبيهم -ﷺ-، فلا يزيدون على هديه ولا ينقصون.

(٧) وسط في أمور الدنيا

يتّسم منهج أهل السُّنّة والجماعة في أمور الدنيا بمنهج متوازن يجمع بين الاعتدال في السعي والوعي بمقاصد الحياة، دون إفراط يُغرق في المادّيات، ولا تفريط يُهمل الأسباب ويعطّل السنن الكونية، فهم ينظرون إلى الدنيا على أنها مزرعة الآخرة، ووسيلة لا غاية، فيستفيدون من نعمها، ويتعاملون مع معطياتها وفق ضوابط الشرع، من غير ترفٍ مذموم ولا زهدٍ مبتدع، ويرتكز هذا المنهج الوسطي على مبدأ قرآنيّ أصيل، قال -تعالى-: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، فهو توجيه يضبط حركة الإنسان بين الأخذ بالأسباب والسعي للرزق، وبين التعلق بالآخرة وإدراك أن البقاء الحقيقي هناك.

الطريق الأقوم لبناء مجتمع متماسك

إن الوسطية هي الروح التي تنبض بها الشريعة، والميزان الذي يضبط حركة الأمة بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، وهي الطريق الأقوم لبناء مجتمع متماسك، يحفظ عقيدته، ويحمي قيمه، ويتحصّن من موجات الانحراف والتطرف والتسيّب، وكلما تمسكت الأمة بمنهج الوسطية والاعتدال -علماً وعملاً وسلوكاً- ازدادت قوةً ووحدةً، وسارت على صراط الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه؛ فالوسطية منهج حياة، وباب نجاة، وطريق لنهضة الأمة، وسبيل لحفظ أمنها ووحدتها واستقرارها، وشرطٌ أساس في تحقيق رسالتها الحضارية الراشدة.

• الوسطية هي الطريق الأقوم لبناء مجتمع متماسك يحفظ عقيدة المسلم ويحمي قيمه ويتحصّن من موجات الانحراف والتطرف والتسيّب

• أهل السنة وسط في باب الإيمان والعمل بين الخوارج الذين يكفرون أهل الكبائر وبين المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب

المعوقات والتحديات لاسترداد الأوقاف المسلوبة

د. عيسى القدومي

الوقف في الشريعة الإسلاميّة ليس مجرّد مالٍ محبوسٍ أو عقارٍ موقوف، بل هو مبدأ حضاريّ راسخ، ومؤسسة تعبّر عن عمق الإيمان بالمسؤولية الجماعية واستدامة الخير عبر الأجيال، فالوقفُ صورةٌ من صور العطاء الذي لا ينقطع، يظلّ نهرُ بركته جاريًا ما دامت مقاصده قائمةً ومصارفه باقية، غير أنّ يدَ العبث والتعدّي قد تمتدّ أحيانًا إلى هذه الأوقاف، فتغتصب الحقوق، وتُغيَّب الرسالة، ويضيع المقصود الذي أُنشئت من أجله، ومن هنا، كان لزامًا على الأمّة أن تعي الأسس النظرية التي تحرّك فقه الاسترداد وتدفع به، سواء في ميزان الشرع أو في ضوء القوانين الوضعية، وفي هذه الحلقة نتكلم عن أبرز المعوقات والتحديات لاسترداد الأوقاف المسلوبة

لقد تنامت الأوقاف المقدسية في العالم نتيجة تعرض مدينة القدس لأحداث جسام منذ احتلالها عام ١٩٤٨، ثم احتلالها عام ١٩٦٧ كليا، وما لحق ذلك من ممارسات عدوانية ضد المسجد الأقصى، هذه الاعتداءات التي كانت تجري على المسجد الأقصى، كان يصاحبها معوقات وصعوبات تحد من قدرة الأوقاف المقدسية على مضاعفة الريع المخصص لمدينة القدس أو المسجد الأقصى، وهذه المعوقات أو الصعوبات قد تكون ذاتية من داخل الوقف نفسه، أو خارجية تؤثر سلباً على تطور هذه الأوقاف، ومن تلك المعوقات والتحديات ما يلي:

(١) الصعوبات القانونية والإجرائية

ونجد ذلك جليا فيما يتعلق بالأوقاف المقدسية في الدول التي تمارس ضغوطا قانونية على النشاط الخيري أو الوقفي فيها، فيشكل هذا تحديًا واضحًا على واقع الوقف المقدسي فيها، على الرغم من توجه أهل هذه البلاد نحو التبرع والتحبيس لأجل القدس.

(٢) عدم تسجيل الأوقاف المقدسية وضياعها

حيث تبين لنا أن هناك أوقافا مقدسية في بعض الدول العربية أو الإسلامية، لكن لم يتم تسجيلها كوقف مخصص للمسجد الأقصى أو مدينة القدس، ولم يتم معالجة الموضوع بسبب قلة التمويل في بعض الأحيان، أو عدم تسجيلها بسبب بعض القيود الحكومية على الأوقاف عموما، ويدخل من ضمنها الأوقاف المقدسية.

(٣) الإجراءات المعقدة والبيروقراطية

فقد تبين لنا أن هناك أوقافا مقدسية في بعض الدول العربية أو الإسلامية تتعطل بسبب طبيعة الإجراءات الحكومية أو المحلية في تسهيل المعاملات الخاصة بالوقف، لا سيما إذا كانت هذه المعاملات تتم في أكثر من جهة ودائرة حكومية، وهذا يعيق تطور الأوقاف العامة أو الحكومية، في حين أن الأوقاف الخاصة تكون المرونة عندها أكثر.

(٤) عدم استثمار الأوقاف بالطريقة المثلى

يعد الاستثمار السليم للأوقاف أحد أبرز العمليات الرئيسية للأوقاف، وإذا تم استثمار الوقف بطريقة سليمة وبعيدة عن المخاطرة، فإنه يحقق نتائج مُرضية ومعقولة يمكن من خلالها تعزيز أصوله وإدامة عطائه، وفي هذا الشأن، نلفت الانتباه إلى أن بعض الأوقاف قد تكون ضخمة وذات قيمة سوقية كبيرة، لكن ريعها منخفض جدًا، ولا يعكس حجم الوقف وقيمته.

(٥) صعوبة التمويل والإقراض

ومن المعوقات التي تؤثر على دور الأوقاف المقدسية في العالم - تجاه مدينة القدس- حاجة تلك الأوقاف المقدسية للدعم المالي والتمويل اللازم لتفعيلها كي تقوم بدورها تجاه دعم احتياجات مدينة القدس من خلال المصرف الذي تتوجه نحوه، وقد وجدت خلال عملية البحث والتنقيب عن هذه الأوقاف المقدسية، أن هناك أوقافًا قد تكون شبه جاهزة للعمل، ولكن المشكلة تتحقق في عدم القدرة على تمويل ذاتها بذاتها، أو حاجتها للقروض مع صعوبة توفرها.

(٦) عدم وجود خطة إستراتيجية واضحة للاستثمار

ولعل من القضايا التي لاحظتها - خلال زياراتي لبعض الأوقاف المقدسية في العالم - عدم وجود خطة استثمارية لبعض الأوقاف، على الرغم من وجود الوقف ذاته قائمًا، ويمكن تفعيله بإنشاء مشروع استثماري عليه، وقد يكون للواقف أو الناظر على الأوقاف المقدسية أسبابه الداخلية، ولكنني لاحظت أن هذا التأخير يؤخر سلباً على دعم مدينة القدس.

وفي هذا الصدد، يمكن القول: إن وجود أوقاف مقدسية متنوعة في دولة بعينها، مثل أوقاف عقارية أو أوقاف منقولة أو أوقاف نقدية، تتبع جهات عدة، فبدلاً من أن يتم التنسيق والتكامل بين هذه الجهات، يتم العمل بصورة منفردة؛ ما يجعل استثمار هذه الأوقاف متعسرًا بسبب محدودية الأصول والمبالغ المخصصة، ولكن لو تم تكوين مجلس إدارة لهؤلاء الواقفين جميعاً، وتكوين مؤسسة استثمارية تدير هذه الأوقاف، لكان خيرًا وأنجع للأوقاف المقدسية في هذه الدولة.

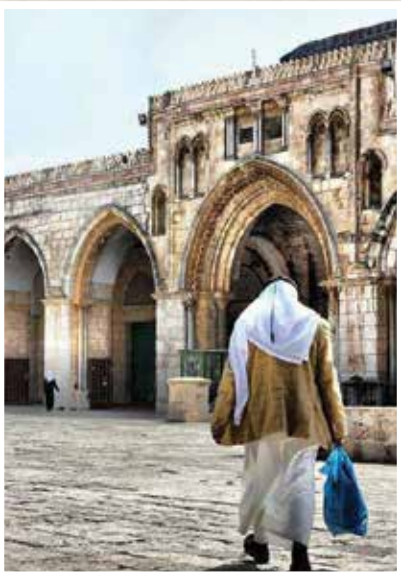

• من المعوقات التي قد تحد من تطوير الأصول الوقفية المقدسية غياب أنظمة الحوكمة والشفافية والسياسات الرشيدة عن واقعها الميداني ما يؤثر سلبًا على تطويرها

(٧) تشتت الأعمال الخيرية والوقفية في الدولة الواحدة

لقد تبين لنا أن هناك دولاً نشطة في العمل الخيري والوقفي، ولا سيما تجاه مدينة القدس، أو تجاه فلسطين، ولكن يتبين لنا أيضًا أن هذا النشاط لم يتمحور في وقف رئيسي داخل الدولة يكون مخصصًا لمدينة القدس، علمًا أن الأموال المتبرع بها تجاه القدس كبيرة جدا، وقد يصدر عنها أوقاف ذات أثر واضح في دعم القدس، ويمكن أن يتم ضرب مثال لهذا الجهد الكبير في دولة الكويت؛ حيث إن العمل الخيري فيها يعدّ من بواكير الأعمال الخيرية المتجهة نحو القدس، بيد أننا لم نشهد وقفية استثمارية رئيسية تخص مدينة القدس حتى الآن.

• يجب العناية بالموارد البشرية العاملة والتركيز على التخصص والمهنية في الأداء المؤسسي ولا سيما في جانب فقه طبيعة الوقف وديمومته

(٨) الحاجة إلى تطوير الموارد البشرية العاملة

من القضايا التي يجب العناية بها ونحن نرغب بتطوير أصول الأوقاف المقدسية وريعها، هي الموارد البشرية العاملة فيها؛ فيجب أن يتم التركيز على التخصص والمهنية في الأداء المؤسسي، ولا سيما في جانب فقه طبيعة الوقف وديمومته، وإن الأوقاف ليست بأي حال من الأحوال عملا خيريا، بل هي أصول يجب أن يتم تعظيمها مع زيادة غلاتها، وقد لاحظت أن بعض الأوقاف المقدسية في بعض الدول تعتمد على العمل الخيري وجمع التبرعات لتغطية النقص في ميزانياتها، وتتغافل أهمية الاستثمار في أصول الأوقاف؛ لأن الاستثمار عملية رئيسية من عمليات مؤسساتية الوقف؛ ولهذا، يجب أن يتم الاهتمام بالكادر الوظيفي المسؤول عن تنظيم هذه الأوقاف المقدسية، وتأهيله قدر المستطاع ليتمكن من إدارة هذه الأصول واستثمارها بالطريقة المثلى.

(٩) غياب الحَوْكمة والسياسات الرشيدة

من المعوقات التي قد تحد من تطوير الأصول الوقفية المقدسية هو غياب أنظمة الحوكمة والشفافية والسياسات الرشيدة عن واقعها الميداني؛ ما يؤثر سلباً على تطويرها، ويشجع دخول ظاهرة الفساد في أروقتها، وقد تبين لنا أن واقع بعض الأوقاف المقدسية - عند الزيارة الميدانية - يحتاج حوكمة تقارير ومراجعتها؛ إذ تخلو بعض هذه الأوقاف من سجلات وتقارير مالية يمكن الحصول عليها في أي وقت ممكن.

سُنَّة الله في التغيير

في خطبة له بين الشيخ حسين بن عبدالعزيز آل الشيخ أننا يجب أن نستبصر أسباب الْهُدَى والفَلَاح، ووسائل العزة والسعادة والصلاح، من كتاب اللّه -جل وعلا-، وسُنَّة رسوله -ﷺ-، فآيتان من كتاب اللّه -جل وعلا- تُنير للأمة مَوَاطنَ السلامة، ومُقوِّمات الأمن، وعناصر النجاة، متى أدركنا مفهومها بوعي تام، وإدراك كامل، ونَظَر ثاقب، وجدناها تَرسُم طريقًا للخلاص من أسباب الهلاك والشقاء، يقول اللّه -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الرَّعْد: ١١)؛ ويقول -عزوجل-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(الْأَنْفَال: ٥٣).

إنها سُنَّةٌ عامةٌ مِنْ سُنَنِ اللّهِ للبشرية أجمعَ، وأنَّ أمَّةَ الإسلام مِنْ ضمنِ الأمم التي تخضعُ لهذه السُّنَّةِ الإلهية، وفقَ توجيهاتِ الوحيين؛ فهي أمةٌ صلاحُها وفَلَاحُها، وعِزُّها وسؤددُها مرتبطٌ باعتصامها بدينها، وتمسُّكها بشريعةِ خالقها؛ أمةٌ عافيتُها وسلامةُ أمنها ورخاءُ حياتها، مقيَّدٌ بطاعتها لربِّها، والعملِ بسُنَّةِ نبيِّها -ﷺ-؛ فلابدَّ من تزكية جادَّة للنفوس وتعديلٍ مدروسٍ؛ لتنقيح الأفكار والأخلاق بما حمَلَه الإسلامُ من أوامرَ تُزَكِّي النفوسَ والعقولَ، وتُجَمِّلُ الأخلاقَ والسلوكَ مع الخالقِ -جل وعلا- ومع المخلوقين.

تحقيق العبادة الشاملة

فالإسلام في مصادره وأهدافه وغاياته، قد حدَّد الهدفَ لبني الإنسان ليحققَ في هذه الحياة العبادة الشاملة للخالق -جل وعلا-، وليَعْمُرَ هذه الحياةَ بكلِّ صالحٍ ونافعٍ؛ ولهذا لَمَّا أحدَث في نفوس الصحابة -رضي الله عنهم- ما جعَلَهم أعظمَ المُثُل، فانتقلوا من عبادة العِبَاد إلى عبادة ربِّ العباد، ومِنْ ضيقِ الدنيا إلى سعةِ الآخرة وسعة الدارين، ومِنْ سيِّء الأخلاق والمعتقَدات إلى أحسنها وأجملها وأكملها، وهكذا هي سُنَّةُ اللّهِ -جل وعلا- في كل زمان، قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرَّعْد: ١١): «أي: إنَّ اللّه لا يُغَيِّرُ ما بقوم من عافية ونعمة، فيُزيلُ ذلك عنهم ويُهْلِكُهم، حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم من ذلك، بظلم بعضهم بعضًا، واعتداء بعضهم على بعض، فيُحِلَّ بهم حينئذٍ عقوبتَه وتغييرَه».

حتى يغيروا ما بأنفسهم

إنَّ سُنَّةَ اللّهِ أنَّه لا يُغَيِّرُ ما بقوم من حال إلى حال، إلا بسببٍ منهم وبما كسبَتْه أيديهم، فإذا كانوا في صلاحٍ وخيرٍ ورخاءٍ فغيَّروا، غيَّر اللّه عليهم بالعقوبات والنَّكَبَات والشدائد بمختلف أنواعها الحسيَّة والمعنويَّة، وقد يُمهل عبادَه ويُملي لهم لعلَّهم يرجعون ويتوبون إليه، وقد يُؤَخِّرُ عقابَهم في الآخرة ليكونَ أشدَّ وأعظمَ؛ وهكذا قد يكونون في شدةٍ وبلاءٍ ومحنٍ، فيُحدِثُونَ توبةً

• إن صلاح أمَّة الإسلام وعزّها مرتبطٌ باعتصامها بدينها وتمسُّكها بشريعة خالقها

صادقة وإنابةً مخلصة، فيُغَيِّرُ اللهُ حالَهم إلى نِعَم تَتْرَى، ومِنَن شتَّى، قال -جل وعلا-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(الأَعْرَاف: ٩٦)، فدوام النعم بالتقوى والطاعات، وزوالها بالمعاصي والسيئات، ومخالفة شرع رب الأرض والسماوات؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(إِبْرَاهِيمَ: ٧).

العمل بالأسباب الشرعيَّة

فالواجب على المسلمين، أَنْ يَسْعَوْا جادِّينَ للعمل بالأسباب الشرعيَّة التي تَصلُح بها أحوالُهم، وتَسلَمُ بها مجتمعاتُهم من غوائل الشرور والفتن، ومِنْ ذلك العملُ الصادقُ الجادُّ لوحدة الصف، ونَبْذ التفرُّق، ومجانَبة البغضاء، والبُعد عن إثارة الفتن والعداوة بين المسلمين، مع الحرص على كل ما يُقرِّب ولا يُبعِّدُ، ويَجْمَعُ ولا يُفَرِّقُ، وذلك استجابة لقوله -جل وعلا-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(آل عِمْرَانَ: ١٠٣).

حفظ أوامرَ الله -سبحانه وتعالى-

ومَنْ حَفِظَ أوامرَ اللهِ -سبحانه- والتزَم بشرعه، حَفِظَهُ اللهُ وأسعدَه ونصَرَه وأعزَّه وأصلَح حالَه، يقول جل وعلا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾(الْمُؤْمِنُونَ: ١)، ويقول -جل وعلا-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(الْحَجِّ: ٣٨)، ويقول -سبحانه-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(الْأَنْعَام: ٨٢)، ويقول نبينا -ﷺ-: «احفظ اللَّه يحفظك»، فالواجب على أمة الإسلام كل وفق إمكانياته أن يقوموا بكل سبب ديني ودنيوي بما أنعم الله عليهم من واسع فضله؛ ليحفظوا -بإذن الله- أمنهم وسلامة مجتمعاتهم، وفق أمر الله

• دوام النعم بالتقوى والطاعات وزوالها بالمعاصي والسيئات ومخالفة شرع رب الأرض والسماوات

-جل وعلا-، القائل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾(الْأَنْفَالِ: ٦٠)، فكم للمسلمين من أعداء متربصين، ولدمار بلدانهم ساعين، ولإغواء شبابهم هادفين! فمسؤولية الجميع أمام الله -جل وعلا- العمل الجاد لاكتساب ما يحقق الرخاء والتقدُّم، في كل مجال نافع في هذه الحياة، الواجب الجد والكفاح للإصلاح والرقي، وفق جهد متواصل، ووعي كامل، بالعالم المعاصر الذي نعيش فيه.

سُنَن التغيير الهادف

لابدَّ من إدراك تامّ بأن علاج مشكلات الحياة خاضع لسُنَن التغيير الهادف البناء المثمر؛ لدرء مصاعب الحياة، وتيسير سبلها، فذلك مطلب من مطالب الإسلام، ومقصد من مقاصده العظام، ومتى توكلنا على الله، واعتصمنا بحبله، واستعنَّا به، مخلصينَ صادقينَ لإعمار الحياة، وسعادة الآخرة، وفقَ ما يُصلح ولا يفسد، ويسعد ولا يشقي، ويبني ولا يهدم، إذا تحقق ذلك من أبناء الأمة فإن الله -جل وعلا- يوفق الخطى، ويصلح العمل، وينير الدرب، ويعين العباد على كل صالح ينفعهم في دنياهم وأخراهم؛

• سُنَّة الله جلَّ وعلا أنَّه لا يُغَيِّرُ ما بقوم من حال إلى حال إلا بسبب منهم وبما كسبَتْه أيديهم

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(آل عِمْرَانَ: ١٥٩)، فلا مجال في الإسلام للخمول عن الإصلاح البناء، ولا مكان للكسل عن العطاء المستمر النافع؛ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(التَّوْبَة: ١٠٥)، ورسولنا -ﷺ- يقول: «أعوذ بالله من العجز والكسل».

إعادة النظر في أحوالنا

إن من أعظم ما يجب على المسلمين أن يعيدوا النظر في أحوالهم، وأن يراقبوه -جل وعلا- في جميع أمورهم، ومن ذلك العودة إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة، والحرص على الأُخُوَّة في الدين، والتعاون على حفظ الأوطان وسلامة المجتمع من كل ما يكدر صفوه أو يخل بأمنه؛ فالله -جل وعلا- يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الْحُجُرَات:١٠)، ونبينا -ﷺ- يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الواحد، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».

أعظم الجرائم في الإسلام

وإنَّ مِنْ أعظم الجرائم في الإسلام الاعتداءَ على المسلمينَ في نَفْس، أو عِرْض، أو مالٍ، فكيفَ إذا اجتمعَتْ هذه الجرائمُ كلُّها، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العظيم، الله -جل علا- يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(النِّسَاء: ٩٣)؛ فهل يا أمة الإسلام مِنْ عودة للصواب، ورجوع لمنطق الشرع والعقل؟! فما هذه الحياةُ الدنيا إلا متاع الغرور، فاتقوا الله -أيها المسلمون- وغيِّروا من واقعكم لما يدعوكم إليه دينُكم تفوزوا وتَغنَمُوا.

خطبة
المسجد الحرام

المؤمن بين الشكر في السراء والصبر في الضراء

ألقاها الشيخ
فيصل بن جميل غزاوي

جاءت خطبة الحرم المكي بتاريخ: ١٤٤٧/٠٥/٣٠هـ الموافق: ٢٠٢٥/١١/٢١م بعنوان: (المؤمن بين الشكر في السراء والصبر في الضراء)؛ حيث أكد إمام الحرم أننا في هذه الحياة ممتحَنون؛ فالدنيا ليست بدار جزاء ووفاء، بل دار اختبار وابتلاء، قال -تعالى-: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في معنى الآية: «نَبْتَلِيكُمْ بالشدة والرخاء، والصحة والسُّقْم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة»، وقال عبدالرحمن بن زيد -رحمه الله-: «نَبْلُوهُمْ بما يحبُّون وبما يكرهون؛ نختبرُهم بذلك؛ لننظر كيف شكرُهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون».

والابتلاءُ قدرٌ إلهيٌّ، وأمرٌ لازمٌ حتميٌّ، يتبيَّن من خلاله مَنْ صدَق في دعواه الإيمان، ممَّن هو كاذب، قال -تعالى-: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(العَنْكَبُوت).

البلاء على قَدْر دين المرء

ويكون البلاء على قَدْر دين المرء قوةً وضعفًا؛ فقد سئل -ﷺ-: أي الناس أشد بلاءً؟ فقال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل؛ يُبتلى الرجلُ على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زِيدَ في بلائه، وإن كان في دينه رقةٌ خُفِّفَ عنه». قال ابن القيم -رحمه الله-: «إن الله -سبحانه وتعالى- اقتضت حكمته أنَّه لا بد أن يمتحن النفوسَ ويبتليها؛ فيُظهر بالامتحان طيبَها من خبيثها، ومَنْ يَصلُح لموالاته وكرامته ومَنْ لا يصلح، وليمحصَ النفوسَ التي تصلح له، ويُخلِّصَها بكير الامتحان».

ابتلاء الله لعباده

هذا وقد مضت سُنَّةُ الله أن يبتليَ عبادَه المؤمنينَ بالسراء والضراء، والعُسْر واليسر، والمَنْشَط والمَكْرَه، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهَدة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك، وكل ذلك مُظهِرٌ لثباتهم على الإيمان، ومحبة الرحمن، والتسليم لقضاء ربِّهم عظيم الشأن، قال -عز وجل-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (الْبَقَرَة: ١٥٥)، فالله -سبحانه- يبتلي عبدَه ويمتحنُه بشدائد من الأمور؛ ليرى هل يصبر ويرضى بقضاء الله، أم يتسخَّط ويجزع؟

أمثلةٌ على تنوُّع الابتلاء

وعندما نستحضر أمثلةً على تنوُّع الابتلاء، ونستدعي شواهدَ لاختلاف صُوَره؛ نجد ذلك جليًّا فيما امتُحن به صفوة الخلق، الأنبياء -عليهم السلام-؛ سواء كان تكذيب أقوامهم لهم، كما في قصص إبراهيم ولوط ونوح -عليهم السلام-، أم كان ابتلاءً بالنعمة كما حصل لداود وسليمان -عليهما السلام-، أم كان بالفتنة والشهوة كما تعرَّض لذلك يوسفُ -عليه السلام-، أَمْ كان بالضُّرِّ كالداء الذي أصاب جسد أيوب -عليه السلام-، أم كان بأنواع الأذى كما أصاب موسى -عليه السلام-، وأمَّا نبيُّنا محمد -ﷺ-؛ فما أكثرَ ما أوذي في الله، ولقي من أنواع الابتلاء والمصائب.

الأنبياء أشدُّ الناس بلاءً

وممَّا ينبغي أن يُعلَم أن الأنبياء -مع كونهم أفضلَ الخلق وأكرمَهم على الله- إلا أنَّهم أشدُّ بلاءً؛ لِمَا يترتَّب على ذلك من مضاعَفة حسناتهم، ورفع درجاتهم، وإعلاء ذكرهم؛ فهم قد اختُصُّوا بكمال صبرهم، وصحة احتسابهم، ويأتي مِنْ بعدهم في ذلك المؤمنون الصادقون من الأولياء والصالحين، الذين ساروا على إثرهم، واقتدوا بهديهم؛ فاستعذبوا كلَّ ما نالَهم من إيذاء وتنكيل، في سبيل الثبات على الدين.

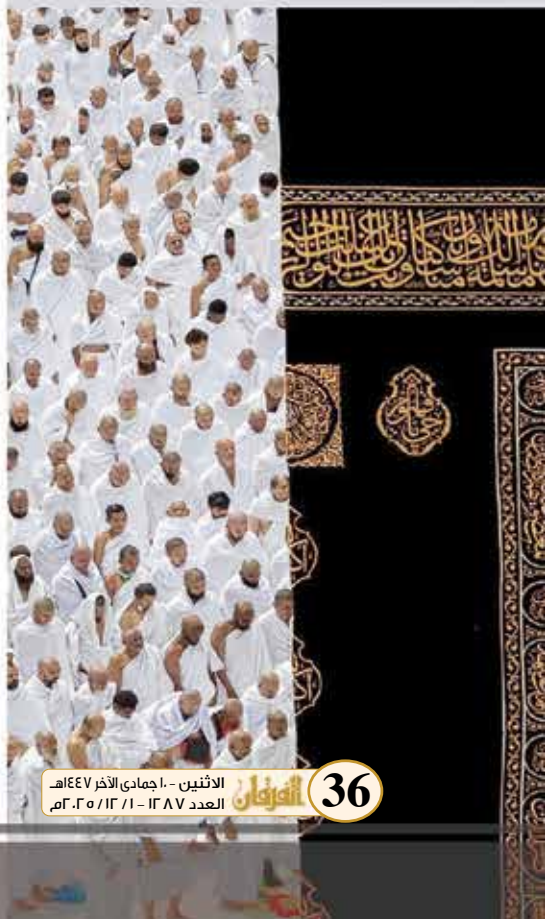

امتحان المؤمنين بحرقهم بالنار

فمن الأمثلة على ذلك: امتحان المؤمنين بحرقهم بالنار، مِنْ قِبَل أصحاب الأخدود الفجار. ومنها: اعتزال أصحاب الكهف قومَهم، وتركهم العيش الموفور؛ ليعبدوا الله وحدَه في كهف مهجور. ومنها: ما توعَّد به فرعونُ اللعينُ مِنْ قتل السحرة وصلبهم لَمَّا آمنوا وآثَرُوا الحقَّ المبينَ. ومنها: رميُ مريمَ بنتِ عمرانَ بالإفك والبهتان، واتهامُ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ في شرفها والطعن في عرضها. ومنها: قتلُ عمرَ وعثمانَ وعليٍّ والحسين، وتعذيبُ بلالٍ وعمارٍ المستضعَفين. ومنها: محنة أحمد بن حنبل الشيباني، وأبي عبدالله البخاري، وابن تيمية الحراني.

الصحابة الكرام ونصرة الإسلام

وما أعظم شأنَ الصحابة الكرام؛ فقد ضربوا أروعَ الأمثلة في سبيل نصرة الإسلام، رغم ما واجهوه من الشدائد العظام والأهوال الجسام؛ ممَّا يَشهَد لهم برسوخ إيمانهم، ويُبرهِن على رباطة جأشهم وثباتهم؛ فقد حوصروا ثلاثَ سنوات في شِعْب أبي طالب، وأصابهم فيه الجوعُ والمتاعبُ، لكنهم صبروا وعلى ربِّهم توكلوا، ولم يَفتَّ ذلك كلُّه في عضدهم، ولم يصدَّهم عن مبدئهم؛ تأسِّيًا بنبيهم الذي لم تفتُرْ عزيمتُه، ولم تَضعُفْ همتُه، بل استمر في دعوته وتبليغ رسالته؛ وكفى الله المؤمنين ما أهمَّهم، وردَّ عنهم بأسَ مَنْ أراد كيدَهم، وباء الأعداءُ بالفشل وخيبة الأمل، وكذا ثباتُهم عندَ الشدائد والصعاب يوم تكالَب عليهم الأحزابُ؛ قال -تعالى-: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾(الأَحْزَاب: ٢٢). قال ابن كثير -رحمه الله-: «أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصرُ القريبُ».

ابتلاء المؤمن في مخالفة الباطل

ومن صور امتحان الإيمان: ابتلاء المؤمن بما عليه الناس من العوائد والتقاليد المخالفة لشرع الله المجيد؛ فإنْ أطاعَ الكثرةَ ممَّن اتبَع الهوى أضلُّوه عن سبيل الله، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾(الأَنْعَام: ١١٦)، قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: «الزَمْ طريق الْهُدَى ولا يضرُّك قِلَّةُ السالكين، وإياك وطرقَ الضلالة، ولا تغترَّ بكثرة الهالكينَ»، وقال ابن القيم -رحمه الله-: «لا تستصعبْ مخالفةَ الناس والتحيزَ إلى الله ورسوله ولو كنتَ وحدَكَ؛ فإنَّ الله معَكَ وأنتَ بعينه وكلاءته وحفظه لكَ، وإنَّما امتحنَ يقينَكَ وصبرَكَ».

حقيقة إيمان العبد

وممَّا يُظهِر حقيقةَ إيمان العبد ما يعرض له مما استقبحَه الشرع وحرَّمَه؛ فمتى قابل المنكرات والمساوئ بالإنكار زاد في إيمانه واطمئنانه، ومتى استجاب لها ورضيها فُتِنَ ونالَتْ من إيمانه، قال -تعالى-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(آل عِمْرَان: ١١٠). فذكر الإيمان بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال -ﷺ-: «مَنْ رأى منكم مُنكَرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعفُ الإيمان»، فلا عذرَ للمؤمن أن يُنكِرَ بقلبه كلَّ مُنكَر؛ لأنَّ تغييرَه بالقلب يُعَدُّ أضعفَ المراتب، ويقتضي ذلك إظهارَ كراهته للمنكَر، فلا يَقعُد مع مرتكبيه، بل يُعرِض عنهم زجرًا لهم وبُغضًا لِمَا هم فيه.

• الابتلاءُ قدرٌ إلهيٌّ وأمرٌ لازمٌ حتميٌّ يتبيَّن من خلاله مَنْ صدَق في دعواه الإيمان ممَّن هو كاذب

ما منا إلا مبتلى

ولنعلم أنه ما منَّا أحدٌ إلا وهو ممتحَن في هذه الدنيا؛ فقد جاء في الحديث أن الله -تعالى- قال لنبيه -ﷺ-: «إنما بعثتُكَ لأبتليَكَ وأبتليَ بكَ»؛ أي: لأمتحنكَ في صبركَ على تبليغ الرسالة، والثبات في الدعوة، وتحمُّل الأذى من قومك، وأمتحنُ مَنْ أُرسِلتَ إليهم؛ فمنهم مَنْ يتبع هداك ويظهر إيمانه ويُخلِص في طاعاته، ومنهم مَن يبتعد عنك ويكفر بك وينافق، وقد امتحن الله كفارَ قريش؛ فأمدَّهم بنعم وافرة، ورزق واسع مديد، وكانوا في أمن وأمان وعيش رغيد؛ فلمَّا أكمَل لهم النعمةَ ببعثة نبي الرحمة -ﷺ- ليُكمِل لهم صلاحَ أحوالهم ويهديَهم سبيلَ نجاتهم؛ قابَلُوه بالتكذيب والرد والعُدوان، فعُوقبوا بالجهد والقحط والحرمان، وقد ضرب الله لهم مثلًا بقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ (الْقَلَم: ١٧). فأصحابُ الجنة ابتُلوا بما آتاهم الله من فضله، فبخلوا وامتنعوا عن أداء حقه؛ فعُوقبوا بآفة أحرقت أشجارَهم وثمارَهم، وحُرموا نفعَها، وتبددَتْ آمالُهم.

ترسيخ مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر

إنَّ ترسيخ مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر -خيره وشره- والرضا والتسليم التام لأقدار الله؛ أساسٌ متينٌ، وحصنٌ حصينٌ، وسُلَّم يرقى بصاحبه لأعلى درجات الإيمان واليقين، فإذا ما ابتُلِي العبد في إيمانه كان أساسه الإيماني ثابتًا، فلم يَضعُف ولم يتزعزَعْ؛ لكنْ عندما لا يكون كذلك فما أسرعَ ما ينقلب ولا يثبت على حاله، قال -تعالى-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(الْحَجّ: ١١).

والواجب علينا أن نحمد ربَّنا على ما أفضَل علينا ومنحنا، وعلى ما صرف عَنَّا ومنعَنا، وأن نسأله أن يعافينا ولا يبتلينا، ويستعملنا ولا يستبدلنا، وأن نقوم بشكر نعمة مولانا؛ فنؤدي حقَّه فيما آتانا وولَّانا، وأن يجعلنا عند النعماء من الشاكرين، وعند الضراء من الصابرين، وأن يرزقنا الاستقامة والثبات، ويعصمنا من شر الفتن والمضلَّات.

خطبة وزارة الشؤون الإسلامية – الكويت

رُؤْيَةُ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي الْآخِرَةِ

جاءت خطبة الجمعة لهذا الأسبوع؛ ٧ من جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٥م، بعنوان (رُؤْيَةُ اللَّه -تَعَالَى- في الْآخِرَة)؛ حيث بينت الخطبة أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمُهِمَّات، وَآكَدِ الْوَاجِبَات؛ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمُسْلِمُ عَقِيدَتَهُ، وَيَنْقَادَ لِأَوَامِرِ اللَّهِ وَأَحْكَامِه، الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَسُنَّةِ رَسُولِه -ﷺ-، عَلَى فَهْمِ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَمَنِ اقْتَفَى أَثَرَهُمْ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام:١١٥) أَيْ: صِدْقًا فِي الْإِخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَحْكَامِ.

• رؤية الله في الآخرة ثابتة عند أهل السنة والجماعة من أنكرها كفر حيث يراه المؤمنون يوم القيامة ويرونه في الجنة كما يشاء بإجماع أهل السُّنَّة

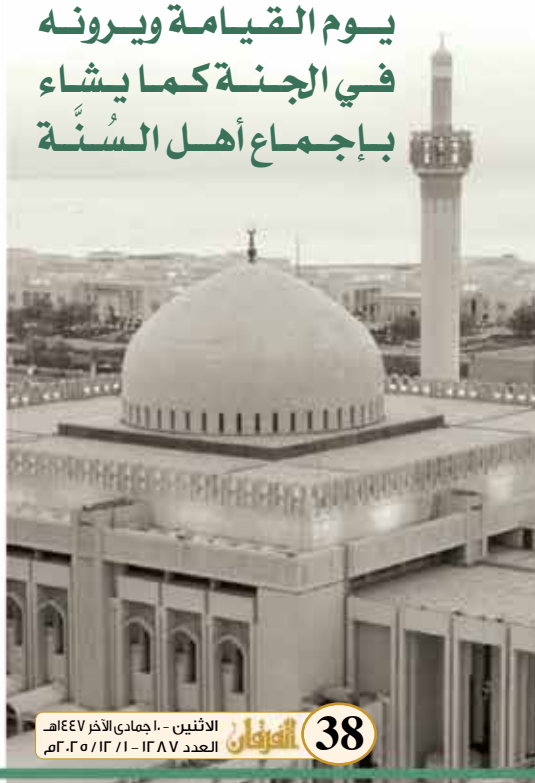

وَإِنَّ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّتِي يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِهَا: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّه -تَعَالَى- يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ نَعِيمٍ وَأَعْلَاهُ، وَأَقَرُّهَا لِعُيُونِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّه-: «هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي شَمَّرَ إِلَيْهَا الْمُشَمِّرُونَ، وَتَنَافَسَ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ، وَتَسَابَقَ إِلَيْهَا الْمُتَسَابِقُونَ، وَلِمِثْلِهَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ، إِذَا نَالَهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ نَسُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَحِرْمَانُهُ وَالْحِجَابُ عَنْهُ لِأَهْلِ الْجَحِيمِ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَجَمِيعُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعُونَ، وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى تَتَابُعِ الْقُرُونِ، وَأَنْكَرَهَا أَهْلُ الْبِدَعِ الْمَارِقُونَ».

رُؤْيَةُ اللَّه -تَعَالَى- في القرآن الكريم

إِنَّ رُؤْيَةَ اللَّه -عَزَّ وَجَلَّ- فِي الْآخِرَةِ، دَلَّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَثَبَتَتْ بِهَا الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(القيامة)، فَهَيَّأَهُمْ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ، بِأَنْ حَسَّنَ وُجُوهَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُشَرِّفَهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَقَالَ -تَعَالَى- فِي شَأْنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ سَخِطَ اللَّه عَلَيْهِمْ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين:١٥) قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّه-: «لَمَّا حَجَبَ هَؤُلَاءِ فِي السَّخَطِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضَا».

رُؤْيَةُ اللَّه -تَعَالَى- في السُّنَّة النبويَّة

وَقَدْ تَضَافَرَتِ الْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ مُؤَكِّدَةً هَذِهِ الْعَقِيدَةَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّه-: «لَوْ عَلِمَ الْعَابِدُونَ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ -تَعَالَى- لَذَابَتْ أَنْفُسُهُمْ فِي الدُّنْيَا».

قَالَ الْإِمَامُ الْآجُرِّيُّ -رَحِمَهُ اللَّه-: «قَدْ قَالَ اللَّه -عَزَّ وَجَلَّ- لِنَبِيِّه -ﷺ-: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤)، وَكَانَ مِمَّا بَيَّنَهُ -ﷺ- لِأُمَّتِه فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ -تَعَالَى-»، رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ صَحَابَتِه رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ، وَقَبِلَهَا الْعُلَمَاءُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ الْقَبُولِ».

أَجْمَعَ عَلَيْهَا سَلَفُ الْأُمَّة

إِنَّ رُؤْيَةَ اللَّه -تَعَالَى- فِي الْآخِرَةِ قَدْ أَجْمَعَ عَلَيْهَا سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَقَبِلُوا مَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ، مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا تَكْذِيبٍ، وَضَلَّلُوا مَنْ خَالَفَ فِيهَا الصَّوَابَ، وَرَدَّ مَا ثَبَتَ بِهِ الْكِتَابُ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّه -تَعَالَى- لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:١٠٣)، وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(طه:١١٠).

أعظم نعيم الْجَنَّة

إِنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ الْأَبَدِيَّ لَا يَتِمُّ وَلَا يَكْمُلُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ أَهْلُهَا أَعْلَى نَعِيمٍ، وَأَهْنَاهُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ، وَهُوَ النَّظَرُ لِخَالِقِهِمْ وَمَوْلَاهُمْ

• رُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ قَدْ أَجْمَعَ عَلَيْهَا سَلَفُ الْأُمَّةِ وَقَبِلُوا مَا جَاءَ فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا تَكْذِيبٍ وَضَلَّلُوا مَنْ خَالَفَ فِيهَا الصَّوَابَ

الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ، الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾(يونس:٢٦)، عَنْ صُهَيْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟! فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ -عَزَّ وَجَلَّ-»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

فَبَيْنَا هُمُو فِي عَيشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
وَأَرْزَاقُهُمْ تَجْرِي عَلَيهِمْ وَتُقْسَمُ
إِذَا هُمْ بِنُورٍ سَاطِعٍ أَشْرَقَتْ لَهُ
بِأَقْطَارِهَا الجَنَّاتُ لَا يُتَوَهَّمُ
تَجَلَّى لَهُمْ ربُّ السَّمَاوَاتِ جَهْرَةً
فَيَضْحَكُ فَوقَ العَرْشِ ثُمَّ يُكَلِّمُ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَسْمَعُونَ جَمِيعُهُمْ
بِآذَانِهِمْ تَسْلِيمَهُ إِذْ يُسَلِّمُ

يَقُولُ: سَلُونِي مَا اشْتَهَيْتُمْ فَكُلُّ مَا
تُرِيدُونَ عِنْدِي، إِنَّنِي أَنَا أَرْحَمُ
فَقَالُوا جَمِيعًا: نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرِّضَا
فَأَنْتَ الَّذِي تُولِي الجَمِيلَ وَتَرْحَمُ
فَيُعْطِيهِمْ هَذَا، وَيُشْهِدُ جَمْعَهُمْ
عَلَيْهِ، تَعَالَى اللَّهُ، فَاللَّهُ أَكْرَمُ

فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُكْرِمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَهِيَ النَّظَرُ لِوَجْهِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَ بِهَذَا الْخَبَرِ الْإِلَهِيِّ، وَالْوَعْدِ الرَّبَّانِيِّ، فَمَنْ كَذَّبَ بِرُؤْيَةِ اللَّهِ -تَعَالَى- فِي الْآخِرَةِ أَبْعَدَهُ اللَّهُ وَحَجَبَهُ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

أَسْبَابُ نَيْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ السَّامِيَةِ

وَأَسْبَابُ نَيْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ السَّامِيَةِ، كَثِيرَةٌ وَمِنْ جُمْلَتِهَا:

الْأَوَّلُ: الْحِرْصُ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا جَمَاعَةً، وَلَا سِيَّمَا صَلَاتَيِ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ، فَهُمَا السَّبِيلُ لِلْفَوْزِ بِرُؤْيَتِهِ -تَعَالَى- وَقُرْبِهِ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ(أَيْ: يَرَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَكَانِهِ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِاجْتِمَاعِ لِرُؤْيَتِهِ)، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾(ق:٣٩) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، وَالْمَعْنَى: لَا تُغْلَبُوا فَتُفَوِّتُوا هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- بِالدُّعَاءِ، فَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ؛ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» .

رؤية الله -تعالى- في الدُّنيا مُمْتَنِعَةٌ

فَأَمَّا رُؤْيَتُهُ -تَعَالَى- فِي الدُّنْيَا فَهِيَ مُمْتَنِعَةٌ، قَدْ حَجَبَهَا اللَّهُ -تَعَالَى- عَنِ الْخَلْقِ حَتَّى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، قَالَ -تَعَالَى- لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَأَلَهُ الرُّؤْيَةَ: ﴿لَنْ تَرَانِي ﴾يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، وَعَنْ عبداللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- حَتَّى يَمُوتَ».

حكم من أنكر رؤية الله في الآخرة

• **سئل الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-:** هل رؤية الله ثابتة وما الدليل؟ وما القول الراجح في ذلك؟ وهل المنافقون يرونه في المحشر؟ فقال -رحمه الله-: رؤية الله في الآخرة ثابتة عند أهل السنة والجماعة من أنكرها كفر، يراه المؤمنون يوم القيامة ويرونه في الجنة كما يشاء بإجماع أهل السُّنَّة كما قال -تَعَالَى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة)، وقال -سبحانه-: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)، وفسر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله، وتواترت الأحاديث عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، أما في الدنيا فلا يرى في الدنيا كما قال -تعالى-: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام:١٠٣)، وقال لموسى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ (الأعراف: ١٤٣)، وثبت عنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: واعلموا أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت، فالدنيا ليست محل الرؤية؛ لأن الرؤية نعيم، رؤية الله أعلى نعيم أهل الجنة، وهذه الدار ليست دار النعيم، دار الأكدار ودار الأحزان ودار التكليف فلا يرى في الدنيا لكنه يرى في الآخرة يراه المؤمنون، أما الكفار فهم عنه محجوبون كما قال -سبحانه-: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥)، فالكفار محجوبون عن الله يوم القيامة والمؤمنون يرونه في الآخرة، والصحيح أن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم ير ربه، أما المنافقون فمحل نظر جاء في بعض الروايات ما يدل على أنه يأتي هذا اليوم الأمة وفيها منافقوها لكن ليس فيه الصراحة بأنهم يرونه يوم القيامة.

العِلمُ سِلاحُ الشَّباب

في زمنٍ تتنافس فيه الأمم على صناعة المستقبل، يبقى العِلم أعظم سلاح يحمله الشباب؛ فهو القوة التي لا تُستنزف، والثروة التي لا تُنهَب، والزاد الذي لا يَفنى، وهو السلاح الذي يحميهم من الانحراف، ويمنحهم القدرة على التمييز بين الحق والباطل.

وإذا تسلّح الشباب بالعلم، صاروا أصلب عودًا، وأوعى فكرًا، وأقدر على مواجهة تحديات العصر، قال النبي -ﷺ-: «مَن يُرِدِ اللَّه به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين»، وفيه دلالة واضحة على أن العلم -عمومًا والعلم الشرعي خصوصًا- علامة خير، وسبب هداية، وبداية طريق الرشد، ففي زمن الفتن والأفكار المضللة، يحتاج الشباب إلى العلم ليكون درعًا يحصّنهم من الانحراف؛ فكل فراغ في العقل، تملؤه الشبهات، وكل فراغ في القلب، تقتحمه الشهوات، ولا يملأ هذا الفراغ إلا نور العلم ومعرفة الحق، قال -تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)، فالعلم هنا ليس ترفًا، بل ضرورة حياة، وشريان هداية.

أيها الشباب.. إن العلم هو الطريق الذي لا يخذلكم، والرفيق الذي لا يغدر بكم، والسلاح الذي تنتصرون به في ساحات الحياة، فاحرصوا على التعلم، واسعوا في تحصيل المعارف، وكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)، فمن سلك طريق العلم، سلك طريق المجد، وبالعلم تُبنى الأمم وتُصنع الرسالات، وتنهض الحضارات.

الشبابُ ورسالة الإيمان

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣)، الشباب هم طاقة الأمة، بهم تُبنى الحضارات وتُصان القيم، إذا حملوا رسالة الإيمان، صاروا قوةً لا تُقهر، يواجهون التحديات بعزيمة، ويصنعون المستقبل بوعي وإخلاص.

قوة الإرادة: سرّ التفوّق والإنجاز

الإرادة هي المحرّك الداخلي الذي يدفع الإنسان للنجاح، وهي الوقود الذي يجعل الشباب قادرين على تجاوز العقبات وصعود قمم الإنجاز، وقد أشار القرآن إلى قيمة الإرادة المرتبطة بالعزم والهمة العالية، فقال -تعالى-: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، والعزم هنا هو إرادة صلبة تُخرج الشاب من دائرة الأحلام إلى دائرة العمل، وقال سبحانه في مقام الامتحان والابتلاء: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)، والمجاهدة لا تكون إلا بإرادة قوية تتغلّب على ضعف النفس ورغباتها، وقدّم النبي -ﷺ- مثالًا رائعًا على الإرادة حين قال: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ»، هذا الحديث يجمع معادلة الإرادة الكاملة: (هدف واضح وعمل جادّ واستعانة بالله).

تأثر الإنسان بمن حوله

الإنسان بطبيعته كائنٌ اجتماعيّ، يتأثّر بمن حوله ويؤثّر فيهم، وتتكون شخصيته من خلال دوائر القرب والصداقة التي تحيط به، فإن أحاط نفسه بأهل الخير نما قلبه، وسمت روحه، وصلحت حياته، وإن جمع حوله أهل التفاهة والغفلة، تسللت إليه عاداتهم، وأفكارهم، وضعُف تمييزه حتى يجد نفسه نسخةً ممّن حوله دون وعي، فاختر بيئتك قبل أن تختارك، واختر صديقك قبل أن يختارك الطريق؛ فالسعيد من وُفّق لصحبةٍ تُذكّره بالله، وتعينه على الطاعة، وتغرس فيه الحكمة والخير.

أثر الصُّحبة الصالحة

قال الله -تعالى-: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: ٢٨)، وهي آيةٌ تُرشد القلب إلى ملازمة الصالحين، والصبر على صحبتهم، لأنهم الزاد الحقيقي للسائر إلى الله، فالصحبة مرآة القلب، والنفس تتكيّف على هيئة من تجالس، وتتشبه بمن تخالط، ولذلك قال النبي -ﷺ-: «المرءُ على دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَن يُخَالِلْ»، فالصحبة الصالحة تقوم سلوك الإنسان، وتعينه على اجتناب المعاصي، وتغرس في قلبه حب الطاعة، وتذكره بالله كلما غفل، وتدلّه على الخير كلما تردّد، وفي المقابل، جاءت التحذيرات الشديدة من صحبة الأشرار، الذين يجرّون الإنسان إلى الفتنة والضياع، فقال -تعالى- على لسان أهل الندم يوم القيامة: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٨)، وللصحبة الصالحة أثر في بناء الشخصية كما يلي:

- **تقوية الإيمان:** الصالحون يشجعونك على الطاعة، ويثبتون قلبك عند الفتن.
- **تهذيب الأخلاق:** الخُلق ينتقل بالاحتكاك، ومجالسة أصحاب القيم تُهذّب السلوك.
- **الدعم النفسي وإيماني:** الصاحب الصالح سند، يواسيك عند الشدائد، ويرفعك عند الانكسار.
- **الارتقاء العلمي والفكري:** الصحبة الراقية توسّع مدارك الفكر وتثري المعرفة.
- **الحماية من الانحراف:** رفقة الخير تحجز صاحبها عن دروب السوء وسُبل الضياع.

صفات من يقتدى بهم

قال الشيخ عبدالرزاق عبد المحسن البدر: قال ابن القيم -رحمه الله في الكلام على قوله تعالى-: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨)، «فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أو هو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه الهوى، وهو من أهل الغفلة، وأمره فرطًا لم يقتدى به ولم يتبعه، حتى لا يقوده إلى الهلاك، ومعنى الفُرط قد فسّر بالتضييع، أي: أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرّط فيه، وفسّر بالسراف، أي: قد أفرط، وفسّر بالهلاك. وفسّر بالخلاف للحق. وكلها أقوال متقاربة، والمقصود أن الله -سبحانه وتعالى- نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه؛ فإن وجده كذلك فليبعد عنه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله -تعالى- واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه».

كيف يبني الشاب إرادته؟

- **الهدف الواضح:** فالطريق بلا هدف ضياع.
- **الصحبة الصالحة:** لأن الإرادة تضعف في بيئة سلبية وتقوى في محيط إيجابي.
- **التوازن بين الروح والجسد:** قلبٌ متصل بالله أقوى إرادة من قلب غافل.
- **الصبر والمثابرة:** قال -تعالى-: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.
- **ترك التردد والخوف:** فالتردد يقتل الإرادة، والخوف يشلّ التفكير.
- **عدم الاستسلام للفشل:** فالفشل امتحان للإرادة وليس نهاية الطريق.

تأمل في صحبة النبي ﷺ لأصحابه

لقد كانت صحبة النبي -ﷺ- صحبة متكاملة، تبني الإيمان، وتثبّت القيم، وتُعدّ رجالاً يصنعون التاريخ، فكان أقرب الناس إليه: أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، الذي كان أصدقهم قلبًا، وعمر بن الخطاب الذي قوّى الله به الإسلام، وعثمان وعلي الذين حملوا لواء الدعوة -رضي الله عنهم أجمعين-.

من الأخطاء التي يقع فيها الشباب

من المخالفات المنتشرة بين الشباب: الإفراط في اللهو والانشغال بما لا ينفع كالانشغال المفرط بالهواتف، والألعاب الإلكترونية، والبرامج الفارغة؛ ما يضيع أوقاتهم الثمينة، قال -تعالى-: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، فالإهمال في استثمار الوقت من أكبر المخالفات التي تسرق من الإنسان فرص الخير والنجاح. الانشغال المفرط بالهواتف، والألعاب الإلكترونية، والمجلات والبرامج الفارغة، مما يضيع أوقاتهم الثمينة. قال -تعالى-: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: ١٣٣)؛ فالإهمال في استثمار الوقت من أكبر المخالفات التي تسرق من الإنسان فرص الخير والنجاح.

استقامة الأسرة طريق سعادتها

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف: ١٣)؛ فالاستقامة على أمر الله -تعالى- هي مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة، وهي الضمان الحقيقي لأسرة متماسكة ولمجتمع قوي.

فسعادة الأسرة لا تُبنى على زخارف الحياة ولا كثرة المتاع، بل تقوم على قاعدة راسخة من القيم والمبادئ التي تحفظ لها توازنها واستقرارها. وكلما كانت الأسرة مستقيمة في أخلاقها، ثابتة على مبادئها، مترابطة بروح المسؤولية، اقتربت من السعادة الحقيقية التي لا تهزّها العواصف.

إن الاستقامة الأسرية تعني أن يعيش أفراد البيت في وعي بالحقوق، وحرص على أداء الواجبات، وأن يعكّسوا في حياتهم اليومية قوله -ﷺ-: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ»؛ فحين تسود هذه المعاني في البيت، يصبح بيئة آمنة تُصان فيها الكرامة، وتعلو فيها المحبة، ويُقدّم فيها الخير قبل كل شيء، وقد وعد الله أهل الاستقامة بخيري الدنيا والآخرة، فقال -تعالى-: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقًا﴾، أي لفتح لهم أبواب الرزق والبركة والخير الوفير.

وتتجلى استقامة الأسرة في سلوكيات يومية بسيطة في ظاهرها، عظيمة في أثرها: (التزام الأوامر واجتناب النواهي، المحافظة على أداء العبادات، والتحلي بالأخلاق الفاضلة من صدقٍ في الحديث، وعدلٍ في المعاملة، ورحمةٍ متبادلة بين الزوجين، ثم القدوة الحسنة التي يراها الأبناء بأعينهم قبل أن يسمعوها بآذانهم، وقد قال النبي -ﷺ-: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»، وفي هذا تأكيد على أثر الصلاح والاستقامة في استقرار البيت وسعادته، وحين تستقيم الأسرة على أمر الله -تعالى-، يتحوّل البيت إلى مدرسة في التربية، وساحة تُزرع فيها القيم الإسلامية الراسخة؛ فينشأ الأبناء على الطمأنينة والثقة والاتزان النفسي، وما من أسرة التزمت بحدود الله، وجعلت الأخلاق قاعدة في تعاملاتها، إلا بارك الله فيها، ورزقها طمأنينة لا توصف، وتوفيقًا يلازم أفرادها في شؤون حياتهم كلها.

الأم ليست مجرد فرد في الأسرة، بل هي قلبها النابض وروحها الموجهة، هي التي تغرس القيم في نفوس الأبناء، وتعلّمهم الصبر والرحمة، وتفتح لهم أبواب العلم والإيمان؛ لذلك فإن صلاح المجتمع يبدأ من صلاح الأم؛ فهي التي تصنع الرجال، وتربي النساء الصالحات، وتبني أمة متماسكة قوامها الأخلاق والدين.

أثر الكلمة الطيبة في البيت

أوصى الإسلام بالكلمة الحسنة، فقال الله -تعالى-: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، وجعل النبي -ﷺ- الطيب من القول صدقة تُكتب لصاحبها أجرًا، فقال -ﷺ-: «الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ»، الكلمة الطيبة تبني جسور المحبة داخل البيت، وتزرع السكينة في النفوس؛ فهي دواء للقلوب، وسبب في دوام المودة بين الزوجين والأبناء، وهي مفتاح السعادة الأسرية؛ فهي روح تبثّ الدفء في أرجاء البيت، وتحوّل الجدران الصامتة إلى مساحة رحبة من الأمان والسكينة؛ فالأسرة التي تتبادل كلمات اللطف والتشجيع أقرب إلى السعادة والاتزان من تلك التي يغلب عليها العتاب والصوت القاسي، والكلمة الطيبة تهدّئ النفوس، وتطفئ نار الخلاف قبل اشتعالها، وتفتح أبواب التواصل الصادق بين الزوجين، فيسهل التفاهم وتقلّ المشكلات، وإنّ البيت الذي تُقال فيه كلمات مثل: شكرًا، بارك الله فيك، أحسنت، أنا فخور بك، سامحني، أحبكم، بيتٌ تتراجع فيه الأحقاد، وتكثر فيه الرحمة، وتزدهر المودة!

فقه الحقوق بين الزوجين

إنّ فقه الحقوق بين الزوجين هو الأساس الذي تُبنى عليه حياة زوجية مستقيمة، قوامها الرحمة والمودة والسكن، كما قال -تعالى-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)؛ فالحياة الزوجية ليست عقدًا ماديا، بل ميثاقًا غليظًا يربط بين قلبين، ويستوجب من كل طرفٍ أداء الحقوق والواجبات كما أراد الله -تعالى-.

أولًا: حقوق الزوج على زوجته:

١. **الطاعة بالمعروف:** أن تلتزم بما أمر الله به من طاعة زوجها في غير معصية، قال -ﷺ-: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، دخلت الجنة».

٢. **الاحترام والتقدير:** أن تحفظ مكانته، ولا تؤذيه بقول أو فعل.

٣. **القيام بواجبات البيت** وفق المعروف والعرف السائد.

٤. **حفظ الزوج في ماله وعرضه وبيته،** قال -تعالى-: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ (النساء: ٣٤).

ثانيًا: حقوق الزوجة على زوجها:

١. **النفقة والسكنى:** فهي واجبة، قال -تعالى-: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

٢. **المعاملة بالمعروف:** قال -تعالى-: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩).

٣. **العدل بين الزوجات** إن كان متزوجًا بأكثر من واحدة.

٤. **الرحمة والمودة:** فالنبي -ﷺ- قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

الصبر مفتاح النجاح الأسري

الأسرة الناجحة لا تُبنى على الراحة المطلقة، ولا تستقيم على لحظات الفرح وحدها، بل تقوم على الصبر الذي تُدار به الخلافات، وتُحتوى به المشكلات، وتُصان به المودة من الانكسار؛ فالصبر في الحياة الأسرية ليس ضعفًا ولا تراجعًا، بل هو قوّة داخلية تُبقي السفينة ثابتة مهما عصفت بها رياح الأيام، وقد جعل الله -تعالى- الصبر أساس النجاح، فقال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وجعل النبي -ﷺ- الصبر نورًا يهدي صاحبه، فقال: «والصبر ضياء»، وفي البيت، تتعدد ميادين الصبر: (صبر الزوجين على طبائع بعضهما، وصبرهما على تربية الأبناء وتقلّبات مراحل العمر، وصبرهما على ضغوط الحياة المادية والمعنوية، وصبرهما على إصلاح الأخطاء وتجاوز الزلات)؛ فأجمل العلاقات تلك التي يُرمَّم فيها الكسر بالصبر، وتُسقى فيها المحبة بالرفق، ويُعاد فيها التوازن بالحلم، ولولا الصبر لانهارت بيوت كثيرة عند أول اختلاف، ولكن الله يبارك في بيتٍ جعل أهله الصبر منهجًا وعبادة.

الدعاء سلاح المؤمن

قال الله -تعالى-: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: ٧٤)، الدعاء سلاح المؤمن، وهو وسيلة لحفظ الأسرة من الفتن، وجلب البركة في البيت، وتربية الأبناء على الطاعة والرحمة.

من ثمار فقه الحقوق بين الزوجين

عندما يعرف كل طرف حقوقه وواجباته، ويؤديها ابتغاء وجه الله، يثمر ذلك: (استقرارًا نفسيًا، وتماسكًا أسريا، وحياة يغمرها الاحترام، وأبناء ينشؤون على الطمأنينة)؛ فالزواج الذي يُقام على قاعدة الحقوق الشرعية، يتحوّل إلى سفينة آمنة تمخر أمواج الحياة، وتحمل أصحابها إلى شاطئ السعادة، وهذا هو المقصود بقول الله -تعالى-: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

النجاح الأسري ثمرة جهد وصبر ممتدّ

إن النجاح الأسري ليس حدثًا عابرًا، بل هو ثمرة جهد متواصل وصبر ممتدّ، ومن صبر اليوم على تحمل المسؤوليات، وجد غدًا ثمار الراحة والاستقرار، ومن صبر على أبنائه رأى فيهم -بإذن الله- صلاحًا ونجاحًا، ومن صبر على أعباء الحياة رأى بركة في رزقه وطمأنينة في قلبه.

فتاوى الفرقان

من فتاوى كبار العلماء

قال الله -تعالى-: ﴿فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «ألا سألوا إذ لم يعلموا؟! فإنما شفاء العيّ السؤال..» والعيّ هو الجهل، فيلزم كل مؤمن ومؤمنة إذا جهل شيئا من أمر دينه أن يسأل عنه.

برّ الوالدين بعد الوفاة

■ **كيف يكون بر الوالدين بعد وفاتهما؟**

● دلت السنة على مشروعية برّ الوالدين بعد وفاتهما؛ بالدعاء لهما وتنفيذ وصيتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما؛ ففي (سنن أبي داود) عن أبي أُسيد الساعدي -رضي الله عنه- قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: نعم: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

حُكم التائب من التهاون في الصلاة والصيام

■ **منذ طفولتي كنت متهاونا في العبادات أصلي وأترك، أصوم وأترك وأرتكب بعض المعاصي، ولكن الحمد لله تُبت إلى ربّي توبةً نصوحا؛ فماذا علي أن أفعل فيما فاتني؟**

● إذا تاب إلى الله توبة نصوحاً صادقاً في توبته فإن التوبة تهدم ما قبلها، ولا يلزمه أن يقضي صلاةً ولا صياماً ولا زكاةً إذا كان قد ملك المال ولم يتم عليه الحول، أما إذا كان قد تمّ عليه الحَوْل فإن الواجب عليه إخراج زكاة ما سبق؛ لأن الزكاة يتعلق بها حق غيره؛ فلا بد من إيصال الحقوق إلى أهلها، وقد يقول قائل: إنه حتى الزكاة تسقط عنه؛ لأن الزكاة يغلب فيها جانب العبادة الخاصة لله -عز وجل-، ولكن الاحتياط أن يؤدي الزكاة، مثال ذلك رجل يترك الزكاة تهاوناً لمدة أربع سنوات مثلاً ثم تاب؛ فنقول له: أدِّ زكاة أربع سنوات التي مرت؛ لأن الزكاة فيها حقٌ للآخر؛ فليؤد إليه حقه، وهذا أحوط وأبرأ للذمة. أما العبادات التي بينه وبين ربه فإنها تسقط بالتوبة ولا يلزمه قضاؤها.

الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-

كيفية التغلب على الغضب

■ **أشكو من سرعة الغضب وعدم التصرف في وقت الغضب فأرجو من سماحتكم توجيهي في هذا الأمر؟.**

● الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما رأى رجلًا قد اشتد غضبه قال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فإذا غضبت فاجتهد في تكرار: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كررها واذكر الله، وأبشر بالخير -إن شاء الله- يزول، ولا تعجل في تنفيذ الغضب، واحذر أسبابه قبل ذلك: بالقيام من المجلس الذي فيه اللغط، وأسباب الغضب، بالوضوء الشرعي... بقراءة القرآن... بالكلام مع الآخرين في أمور أخرى تشغلك عن هذا الغضب. إلى غير ذلك. عليك أن تجتهد في العلاج بما تستطيع؛ حتى يهدأ الغضب وأهم ذلك: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، والإكثار من ذكر الله -عز وجل- وهو سوف يزول الغضب وإذا تيسر الوضوء، القيام بالوضوء أيضًا يطفئ الغضب؛ لأن الغضب من الشيطان، والوضوء يطفئ النار.

الشيخ عبد العزيز ابن باز -رحمه الله-

لا يلزم مِن الزهد ترك البيع والشراء

■ **سمعنا من الآيات ما يرغب في الزهد في الدنيا، فإذا ترك الإنسان الفرص التجارية وهي أمامه بهذه النية، فهل يثاب إذا تركها عمداً، وهو يرى أنها تكسبه؟**

● الزهد ليس ترك البيع والشراء؛ لأن الله -عز وجل- أمر بالبيع والشراء، فقال -عز وجل-: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ (الجمعة:١٠) أي: صلاة الجمعة. ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الجمعة:١٠) مع أنه قال قبل ذلك: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ (الجمعة:٩) إذاً: بم نبتغي من فضل الله إذا قضيت الصلاة؟ بالبيع والشراء، فالبيع والشراء ما فيه بأس، الزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما يضر في الآخرة، فإذا باع الإنسان واشترى بنية أن يبتغي من فضل الله، بنية أن يستغني بما أعطاه الله عن سؤال الناس وتكففهم، بنية أنه ينفق على أولاده وعلى أهله، بنية أنه يتصدق مما أعطاه الله، صار هذا زهداً، لا تظن الزهد أن يلبس الإنسان ثياباً رديئة ومشلحاً ويركب على سيارة رديئة، ويترك مثلاً البيوت التي تناسب حاله، الزهد هذا كما قال شيخ الإسلام أو ابن القيم: ترك ما لا ينفع في الآخرة، فاتركه يبيع ويشتري بهذه النية الطيبة، أن يكفّ نفسه عن الناس، وأن يقوم بنفقة من ينفق عليه، وأن يتصدق.

الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-

النهي عن الفُحش في القول

■ **ما حكم من تلفّظ بكلمة فيها لعن لشخص معين؟**

● لا يجوز التلفظ باللعن والسب والشتم، والتنقص للناس، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، وقال النبي -ﷺ-: «لعن المؤمن كقتله»، وقال: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء»؛ فالمؤمن يصون لسانه عن التفوه بالسباب والشتم، وأشد ذلك اللعن؛ فإن اللعنة إذا صدرت منه إلى غير مستحق، فإنها ترجع عليه كما أخبر بذلك النبي -ﷺ-؛ فلا يجوز للمؤمن أن يستعمل اللعن لا في حق الآدميين ولا في حق البهائم، ولا في حق المساكن، ولا غير ذلك؛ فإن هذه كلمة شنيعة وقبيحة لا تليق بالمسلم.

الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-

زكاة أموال القُصّر

■ **وصي على أموال يتامى وضعها في أحد البنوك الإسلامية ليستثمرها لهم؛ عملاً بقول عمر -رضي الله عنه-: «اتَّجِرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تَأْكُلُهَا الزَّكَاةُ»، والبنك لم يصرف أرباحاً هذا العام، والوصّي يسأل هل عليه من زكاة في هذه الأموال؟ علماً بأنها تبلغ النصاب وتزيد عليه وحال عليها الحول؟**

● إن زكاة المال الزكوي ومنه جميع عروض التجارة (وهو كل ما أعد للتجارة) يجب إخراجها من عينه ولو لم يوجد له نماء، وذلك إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول، والحديث المشار إليه في السؤال هو لمجرد ترغيب الوصي في تثمير مال من تحت وصايته وليس فيه تعليق دفع الزكاة على وجود ربح لذلك الاستثمار.

قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الشؤون الإسلامية الكويت

حكم أخذ العمولة دون علم المتعاقد معه

■ **بعض العُمّال، عندما يتفق مع صاحب العمارة يذهب إلى أحد المتاجر بعينه ويحصل على عمولة، أو هدية، فيسأل: هل له أن يأخذ مثل هذه العمولة؟**

● حرام على العامل إذا كان صاحب التجارة ينزل من التجارة إذا أخذ منه كمية كبيرة، أن يأخذ هذه النسبة لنفسه، ويقيد على صاحب العمارة بالسعر الأول، يعني: هذا ظلم، نعم لو أنه استأذن من صاحب العمارة وقال: إنهم يبيعونه بـ(١٠) وأنه مع الكمية الكبيرة ينزلون إلى (٩) وأرجو أن يكون الريال الزائد لي، فإذا سمح فلا بأس، وإلا فإن التنزيل يكون لصاحب العمارة، وحتى لو كانت شكل آلة يعمل بها مثل: فرشاة المهم -على كل حال- كل شيء زائد لا يحل.

الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-

زكاة الأسهم الخاسرة

■ **شخص يمتلك أسهماً، وقد هبطت القيمة فخسر، وهو من المزكين، فكيف يستطيع أن يبدأ بالزكاة في هذه الحال، ومتى يعد المال نصاباً في هذه الحال؟**

● إذا كانت الأسهم للتجارة أو حيزت للتجارة تقوّم قيمتها يوم وجوب الزكاة، فإن بلغت مع باقي أمواله الزكوية الأخرى نصاباً فإنه يزكي عن جملة هذه الأموال بمقدار ربع العشر.

قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الشؤون الإسلامية الكويت

251201

رسالة إلى مُنكِر الجميل..!

سالم الناشي
رئيس تحرير مجلة الفرقان
٢٠٢٥/١٢/١م

• «نكران الجميل» ابتلاء متكرر للمحسنين، وامتحان لصدق الإخلاص في قلوبهم؛ إذ تثقل على النفوس الكريمة لحظاتٌ يُقابَل فيها إحسانها بالجحود، ويُنكَر صنيعُ معروفها، ويزداد الألم، إذا صدر ذلك من بعض ذوي الأرحام! الذين يُتوقّع أن يكونوا أسبق الناس إلى الاعتراف بالفضل.

• لكن الواقع يشهد أن بعض الناس قد يقابلون الإحسان بالإعراض، بل أحيانا بالعداء والقطيعة؛ ما يضيف إلى ألم الجحود ألم الإساءة؛ فينشأ عن ذلك شرخٌ في العلاقات، وضعف في روح التعاون والتراحم في المجتمع.

• وقد جاء الإسلام ليقرّر مبدأ راسخًا في معاملة أهل الفضل، وهو أن الإحسان لا يُقابَل إلا بمثله أو أحسن منه، قال -تعالى-: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن:٦٠)؛ فمَن بذل خيرًا استحق أن يُقابَل بخير: ثناءً وشكرًا، أو دعاءً صادقًا، ومن تمام هذا المعنى قول النبي -ﷺ-: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»؛ حيث بيّن أن شكر الناس والاعتراف بفضلهم من تمام شكر الله -تعالى-.

• فالمؤمن يعرف لذوي الفضل فضلهم، ويلحظ أيادي الآخرين ولو كانت يسيرة، ويجتهد في ردّ الجميل بقدر ما يستطيع، بخلاف النفوس الجاحدة التي تأخذ ولا تعطي، وتستفيد ولا تعترف.

• إن نكران الجميل خُلق مذموم شرعًا وعقلًا وذوقًا؛ ومن آثاره السيئة، أن يقلّ الخير في المجتمع! ولهذا جاء التوجيه الرباني العام: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة:٢٣٧)، لترسم الآية -على إيجازها- ملامح مجتمع متراحم متماسك، وحتى عند الخلاف تبقى في القلب مساحة للاعتراف بما سبق من خير، فلا تُمحى الصفحات البيض لمجرد وقوع خطأ أو زلّة.

• وفي المقابل، تميل النفوس الكريمة بطبعها إلى الشكر والوفاء، وتستقبح الجحود، وتبحث عن الفرصة المناسبة لرد الجميل، أو على الأقل تثني على صاحبه، قال -ﷺ-: «مَن أُعْطِيَ عطاءً فوجَدَ فليَجْزِ به، فإن لم يَجِدْ فليُثْنِ به، فمن أثْنى به فقد شَكَرَه، ومَن كَتَمَه فقد كَفَرَه».

• وينبغي للمحسن أن يكون عطاؤه لله، وألا يربط إحسانه بردود أفعال الناس؛ فإنه إذا جعل الشكر والثناء شرطًا للعطاء، انتفى عنه الإحسان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

• فإذا أصاب المؤمن جحودٌ من الخلق، استحضر أن الله قد كتب له الأجر كاملًا، وأن ما عند الله خير وأبقى؛ فيستمر في إحسانه، ولا يسمح لآثار نكران الجميل أن تغيّر من طبعه، أو تفسد نية عمله.

• ولا يفوتنا في هذا المقام أن نُذكِّرَ بأدب وخلق قرآني كريم، حث الله فيه المحسن على ألا يقطع إحسانه؛ بسبب زلة وقع فيها المُحسَنُ إليه، وهو ما وقع لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- مع قريبه مسطح بن أثاثة -رضي الله عنه-؛ فقد كان ينفق عليه لقرابته وفقره، فلما خاض مسطح في حق أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في حادثة الإفك، وجد أبو بكر في نفسه، وأقسم أن يقطع نفقته عنه! فأنزل الله -تعالى- قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢)؛ فما كان من الصدّيق -رضي الله عنه- إلا أن قال: «بلى والله، إنا لنحبّ أن يغفر الله لنا»؛ فعاد إلى الإنفاق على مسطح وزاد له، فصار مثالًا حيًّا على أن إحسان المؤمن لا ينقطع بزلّة، وأن غاية المحسن طلب مغفرة الله وعفوه.

قناة الخير الثقافية
قسم الإنتاج الفني

قسم الإنتاج الفني متخصص في إنتاج البرامج التلفزيونية والفلاشات الإعلامية والجرافيك ومتخصص تصوير وتسجيل (الدورات العلمية ودروس المساجد) التي تقيمها الجمعية واللجان التابعة لها.

وحدة الإنتاج المرئي:

- وحدة التصوير والمونتاج متخصص في إنتاج البرامج التلفزيونية والإذاعية.
- وحدة بث وتشغيل قناة الخير الثقافية و تشغيل ومتابعة السوشيال ميديا الخاصة بالقسم (توتير وإنستجرام والفيس بوك واليوتيوب وصفحة القناة.
- تصوير المحاضرات والدروس وفعاليات الجمعية واللجان التابعة لها.

وحدة الإنتاج الصوتي:

- الاستديو الصوتي : يقوم الاستديو الصوتي بتسجيل الاصدارات الصوتية (القرآن الكريم - المحاضرات والدورس الخاصة بالقسم والجمعية واللجان التابعة لها وكبار علماء السلف في العالم الاسلامي) بتقنية صوتيه عالمية من خلال أجهزة وكمبيوترات مجهزة للمونتاج.
- الأرشيف الرقمي: نسخ وطباعة CD و DVD وتحويل الأشرطة القديمة إلي ملفات رقمية لإعادة نشرة من جديد ورفعها على المواقع الالكترونية.

25362528 - 25362529

جـــــذور
JATHOOR

Concentrated Perfume Oil عـطـــر مـركـــز

12ml

الشايع

SINCE 1928 منذ

الشـــايـــع للعطـــور

AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com

@alshayaperfumes